# من داخل الزنزانة

هيثم نافل والي

الكتاب : من داخل الزنزانة (قصص قصيرة)

المؤلف : هيثم نافل والي

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٨

رقم الإيداع : ٥٩٦٩ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : I. S. B. N : 978 - 977 - 493 - 456 - 8

---

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net




# من داخل الزنزانة

قصص قصيرة

## هيثم نافل والي

إلى نهاية إسماعيل بادي

زوجتي الحبيبة

هيثم

الحقيقة التي لا مراء فيها هي إني أكتب ويدي على قلبي... لأنني وببساطة لي عائلة وأخاف على نفسي وعائلتي حتى من مواء القطة! المعزرة... أحيانًا لم أستطع التصريح بكل ما كان يدور في ذهني من عواطف وأفكار تنفع الناس وتدفع عنهم الأذى... ولهذا السبب لا يحق لي اليوم إلا أن أستغفر واهب النعم وأتوب إليه.

**هيثم**

# الفهرس

# مدخل قصصي قصير جدًا

كانت صغيرة كبرعم وردة لم تتفتح بعد ، تحلم بالموت كثيرًا ، وترغب عندما تلعب مع صويحباتها البنات أن تمثل دور الضحية الميتة...

وفي صباح لم تستيقظ؛ لأنها كانت قد فارقت الحياة.



# واقـعـة

**هناك من لا يعرف الحق كما يعرف الباطل**

**علي بن أبي طالب**

كنت جالسًا في بيتي تحت قبة السماء تحرسني رعاية الله، والجو لطيفٌ كفيء الظل؛ عندما اتصل بي أحدهم يكركر جاهلاً سبب تزلفه العجيب منوهًا بجدية لا تتناسب وسنه الضاحك وكركراته اللعينة:

- لماذا تنساني دائمًا؟

الحقيقة، باغتتني سؤاله، قلت وأنا أشك في نواياه:

- وما الداعي من هذا السؤال؟

كالطلقة:

- لأنك لم تطلب مني يومًا أن أكتب مقدمة لإحدى كتبك كما فعلت مع الآخرين؟... تابع منغصًا الأجواء التي أصبحت ملغمة فجأة: لي رغبة لا تقاوم لفعل ذلك.

خجلي سبق لساني، كدتُ أرفض، لولا آفتي المنخورة هذه التي لا أعرف كيف أبرأ منها، أجبته دون تفكير طويل:

- تدلل، لك ما تريد، سأجعلك تحقق رغبتك، سأبعث ملف كتابي الجديد الجاهز للطبع الآن بشرط!...

صاح بخبل:

- موافق على كل شروطك دون حاجتي لمعرفتها.

- اتقِ الله يا رجل، اسمع أولاً ثم أعطِ رأيك... أضفت موجزًا: الوقت مهم بالنسبة لي، الكتاب يعتبر جاهزًا للطبع، لا تتأخر عليّ.

قهقهة من جديد كما يفعل جنرال منتصر، قال:

- سأعتني بمقدمة كتابك كما أعتني ببؤبؤ عيني! لا تقلق، خلال أيام معدودة ستكون عندك، أعدك بشرفي.

قال الكلمة الأخيرة وانقطع الخط، وأنا ألوب لجهلي المطبق بإمكانيات صاحبنا الهازل الساخر الذي يبدو لا يعرف حتى أن يقسم الشعير بين حمارين.

بعثتُ له ملف كتابي بعد أن استغفرت ربي وقبلت بقدري ونصيبي...

قلقي بدأ يتورم في داخلي كجنين في رحم أمه، أنتظر المقدمة الموعودة الملعونة التي وعدني بها ولم يرسلها... فات أسبوع على حديثنا، شهر، ومرَّت أيام فوقه، ولم يستجد شيئًا... المطبعة تنتظر وبنود العقد كانت واضحة وصريحة، المفروض تسليم الملف قبل

أن يتصل الضاحك... مرَّ أكثر من أربعين يومًا ولم يحصل ما تم الاتفاق عليه، فاضطررت متنازلاً للاتصال به...

رفع سماعة الهاتف متبخترًا كالطاووس في صياحه:
- أهلاً يا صاحبي! أخيرًا تكرمت واتصلت بنا! يجب أن يسجلها التاريخ، هذه اللحظة عليها أن تتوقف كي نأخذ منها صورة تبقى تذكارًا... ثم أطلق لنفسه العنان في الضحك الذي لم أجد له سببًا أو منطقًا.

قلت أداريه في مأساته العقلية:
- وعدتني بالمقدمة، وبناءً على طلبك أرسلتُ ملف كتابي بوقتها واشترطت عليك أن تتعامل مع الزمن بحذر، لكنك خلفتَ وعدك، وحنثت عهدك...

قاطعني كتاجر أعراض، بلا خجل:
- وماذا يعني؟ لم يفت على عهدي غير بضعة أيام!... تابع كمن حلّت الخمر عقدة لسانه: انتظر دقائق وسأرسلها لك، ما هذا؟... ثم أغلق الخط...

استغربتُ تصرفه غير اللائق، تحجرتْ الكلمات في حلقي؛ أبتْ أن تخرج، ولمن تخرج، لقد أغلق اللاهي الخط دون أي اعتبار.

تصفحتُ بريدي الخاص كما وعدني ففوجئتُ برسالة منه، استبشرتُ خيرًا، حدثت نفسي ألومها على تعجلها، وسوء خاطرها قلتُ: يعلم الله ما في الصدور، لقد أخذتُ من الرجل مأخذًا، لم

أصدقه ولم أعذره، ربما كانت له ظروفه، وها هي رسالته تصلني كالبرق، لأفتحها وأرى ما في داخلها...

وكانت المفاجأة الحقة التي تذيب الحديد بسهولة وتجعله يغلي كالماء...

كانت نصًا رائعًا، اللغة مرنة، شفافة، جزلة، صقلتها بلاغة لا يمكن وصفها بالكلمات التي أعرفها، محكمة، تدق لها فترقص كما يقال... لكنها لا تتعلق بفحوى ومحتوى مجموعتي القصصية التي أرسلتها له! ليس هناك أي ذكر أو إشارة تنوه كقراءة نقدية منها يستهل ويبدأ كتابي لتقديمه للجمهور، ببساطة كانت المقدمة رائعة جدًا لكتاب آخر، ليس لها أي علاقة بأفكار كتابي... وعليه شعرت بالريبة أولاً ثم الحزن... وأخيرًا قررت الاتصال به مجددًا بعد أن فوضت أمري لله:

رفع سماعة الهاتف مختالاً كأمير متنكر كعادته المنحوسة التي أمقتها:

- نعم يا صاحبي، توقعت أن تعاود الاتصال لتشكرني!

وبلهجة مقتضبة خشنة لا تخرج من فتحات غربال:

- عندي سؤال محدد؟

- سل...

- اسمع... كتابي سيخرج إلى المكتبات، ستكتب عنه الصحافة، سيكون عُرضة لكل شخص، المسؤولية كبيرة قد لا تتوقعها، وعليه أسألك: هل قرأت ملف كتابي وفهمت أفكار قصصي؟!

- هي... هي... هي... ومن بين أسنانه الضاحكة، ناح: أنا لا أحتاج لأقرأ قصصك، أعرفك جيدًا، فلا داعٍ لتضييع وقتي في شيء أعرفه مسبقًا!

- كيف كتبت المقدمة إذن ؟... تابعت منقبض الصدر كشخص يحتضر: هل ما كتبته من إبداعك؟ أقصد، كم نسبة ما كتبته وما لطشته من غيرك؟ بمعنى أدق: هل هي لك؟

الملعون كركر من جديد فدمر ما تبقى من أعصاب كانت غير معطوبة في جثتي، ثم غمغم كمارق في الدين:

- وهل أنا نبي أو رسول كي ينزل عليّ وحي يمليني ما سأقول وأكتب؟!

وهنا لم أطق الصبر، انفجرت في وجهه صارخًا بعد أن نسيت نفسي:

- إذا لم تكن نبي أو رسول كتابة؛ لماذا تزج نفسك وتحشرها في شغلة الكتابة؟!

دمدم متأثرًا من ردي الصاعق الساحق، نبر:

- هذه عادة تعودت عليها منذ زمن بعيد حتى وقبل أن تولد أنت، آخذ من هنا جملة، ومن هناك فقرة، ألصق هذا بذاك فأستخرج نصًا بديعًا متكاملاً وكما رأيت بنفسك... أضاف بلا إنصاف: بالله عليك، ألم تعجبك المقدمة التي أرسلتها؟... استمر بلا ضمير كأنه يستجوبني في تهمة: قل، لا تنكر، أعجبتك أم لا ؟... ثم واصل متذمرًا قاطعًا للأمل: انظر، لا تنشر لي شيئًا في كتابك، أهمل ما

بعثته لك وأعتبر الموضوع في حكم المنتهي، ليس عندي مقدمات أكتبها لك ، هل سمعت ؟ ارمها ولا تسألني بعد اليوم عن شيء أكتبه لك.

وانقطع الخط كما في كل مرة!.



# الجهلاء

**من يعرف الناس على حقيقتهم يشكر الله على وحدته وعزلته**
**والجاهل في عرفنا كالأعمى...**
**لا يحتاج الأخير إلى مرآة بقدر الصوت والكلمات**

كان جمعًا للعميان لا يدخله غير الضريرين، غاص بهم حتى اعتادوا العيش في ذلك الكهف الذي يشبه الزاغور، يأكلون فيه، يشربون، يتكاثرون، ينافقون، يتصارعون، ثم ينامون وعلى حالهم يستيقظون...

حتى زارهم يومًا في صباح نوره لم يروه، دخل عليهم عاريًا كالإنسان الأول قبل التاريخ!، كان بارع الحيلة، شنيع النصب وباستطاعته سرقة الكحل من العين؛ كما يقال على طليان نابولي؛ وما أن دخل عليهم وقف يخطب بهم واعظًا، ينهي عن المنكر ويذكرهم بعذاب الآخرة حتى بحَّ صوته.

خرج من كهفهم محملاً بأطيب وأغلى الأشياء التي استولى عليها دون أن ينتبهوا...

في حين علت أصواتهم الهاتفه الداعية له بطول العمر وتكون له في كل خطوة سلامة لِما زرع فيهم من شعور بالرضا والطمأنينة!.



# عبد الكريم قاسم

**ما أتعس وأبشع الحروب... خاصة عندما تكون خالية من المعنى ، وما يزيدها تعاسة وبشاعة الذين يتباهون بأقوالهم وتصرفاتهم على أنهم حماة الدين والوطن على حساب الضمير والأخلاق والقيم**

جلس ثامر يتذكر سارحًا في آفاق بعيدة، حيث كانت أبعادها تتعدى حدود الخامسة والعشرين عامًا، عندما سافر بصحبة أعز أصدقائه في رحلة وهو يردد بهمس دون انقطاع:

- لا مكان بعد في الجسد لطعنات أخرى جديدة... فنحن نسير ، نأكل، نشرب وننام كل يوم بمعجزة.

الرحلة التي قضوا فيها أجمل ساعات حياتهم ببراءة طفولية شاملة كأسماك نهر الفرات ، شقية وبهية ؛ تلك الأيام التي جعلتهم يستمتعون بأوقاتهم بشكل ملفت للنظر ، نسوا أنفسهم، توقف الزمن في ناموسهم ولم يكن لهم من هم سوى الاحتفال والاحتفاء بزواج صديقهم... حتى ساعة اعتقالهم ، فتغيرت الأمور وسارت في طريق آخر لم يكن في حسبانهم...

بعد إلحاح وتوسل كبيرين ؛ قَبلَ ثامر هديتهم بمناسبة زواجه ؛ وكانت عبارة عن رحلة إلى شمال العراق ومصايفه الرائعة ، الخلابة والساحرة ، مع أعز أصدقائه وزملائه في الجامعة التي يدرس فيها...

كانت زمرة ثامر تتكون من أربعة أشخاص والمرح خامسهم ، خفيفو الظل ، حلوين المعشر ، سهلو الطباع وأذكياء إلى أكبر قدر ممكن أن يكون عليه الذكاء البشري...

وما أن تحركت سيارة ثامر البيضاء ماركة داتسن القديمة التي تصرف من الزيت أكثر مما تستهلكه من الوقود بسبب عتق واستهلاك محركها ، ومع ذلك أجبروه على القيام بتلك الرحلة معهم وبسيارته رغم هلاكها وبطء سرعتها وغازات محركها القاتل الخانق الذي يطلقه خلفها ، بعد أن فحصوا ضغط هواء إطاراتها وأضافوا الماء لمبردها...

غنت عجلات السيارة فوق الطريق الإسفلتي المغبر ، اهتزت عظامهم وهم محشورون بداخلها حشرًا ، خشخش محرك السيارة وهو يدور مطرقعًا مطرطشًا ومقرقرًا... وما أن ساروا بضعة كيلومترات حتى توقف ثامر في أول ورشة لصيانة السيارات رآها في طريقه...

صلصلوا به ضاحكين كالدجاج السعيد:

- إيه... يا فتاح يا عليم.

بصوت وديع ناح والفضيلة تلمع في عينيه:

- أوه... لا ، حلت بكم اللعنة لقد قلت لكم ما تعانيه سيارتي ولم تستمعوا.

أضافوا لمحركها اللعين كمية من الزيت الغالي الثمين وانطلقوا مهللين ، فرحين برحلتهم وبزواج صديقهم... وكل نصف ساعة تقريبًا كان يفعل الأمر ذاته دون انزعاج كبير كي لا يفسد على نفسه وعليهم هديتهم.

وفي اليوم الرابع من الرحلة والأخير وعند الصباح وبعد أن تناولوا فطورهم من البيض المسلوق مع لبن الشمال المعروف بطعمه اللذيذ... استحلوا مقاعدهم في السيارة، حتى خطرت لثامر فكرة لم يتردد في إلقاءها عليهم وتفجيرها بينهم:

- ما رأيكم لو زرنا مدينة السليمانية حيث سد دوكان؟! إنها فرصة قد لا تتكرر لنا، فمازلنا في أربيل، هذا يعني أننا سوف لن نبتعد كثيرًا لرؤية تلك المنطقة الجميلة الخلابة التي تأسر القلب قبل العين، بهوائها وجبالها وبحيرتها الساحرة التي نستطيع رؤية ما تحتها بوضوح وكأنها من زجاج... وصاح بهم مازحًا بانفعال مصطنع: ها... ماذا تقولون؟ أنها هدية زواجي كما تعلمون، فلا يحق لكم الرفض.

تنحنح حسين قائلاً:

- أنا شخصيًا لا مانع عندي إذا وافق الآخرون.

أجابه سعد بمرح كعادته:

- وأنا كذلك... لا مانع لدي... وهتف : إلى دوكان حيث السحر والجمال والأمان!.

ردد عامر مغمغمًا:

- اتقي الله يا سعد، عن أي أمان تتحدث؟ فالعُصاة يجلسون على أكتاف الجبال وقممها ويملأون الأزقة والطرقات في الليل هناك، وفي النهار لا ترى لهم أثر كالنجوم... ثم سأل أحمد مستفسرًا: ماذا تقول أنت؟

بصدق رد عليه أحمد:

- الحقيقة لدي تخوف فقط من الأوضاع الأمنية هناك، كما نوهت أنت، لكنني سأكون مع رأي الأغلبية... ثم تابع بذات الرنة المتزنة المعروف بها: كما واضح أن هناك تصويت بالإيجاب للأغلبية، إذن على بركة واهب النعم.

علت البهجة وجوههم وأعطوا لموجة صوت الراديو حسًا أعلى وهو ينشد أغاني وطنية حماسية، فالحرب البشعة الخالية من المعنى بين العراق وإيران كانت في أوجها مشتعلة تسحق كل ما موجود أمامها من أخضر، مؤمن، كافر ويابس، وتحوله إلى رماد بارد لا حياة فيه... لعن الله مسببها.

وإذا بسعد يصرخ بثامر آمرًا:

- أرجوك، إما أن تغلق المذياع أو أن تضع لنا شيئًا في جهاز الكاسيت نسمعه بدل هذا النواح الذي مللنا تكراره.

استجاب ثامر للطلب، فارتفعت الزغاريد وعلا التصفيق كموجات من اللهب، والجماعة فرحون بقرارهم وسيرهم ورحلتهم وقصدهم في يومهم الأخير وهم متوجهون إلى سد دوكان ومعلمه الغرير الذي لم يزورنه من قبل.

وقبل أن يصلوا بسيارتهم التعبة العتيقة المتهالكة بأمتار قليلة حتى استدار ثامر بسيارته وحيث الإشارة المرورية التي كانت تشير بسهم أصفر نحو موقع وجهة السد وبحيرته، ولم يتوان السائق في القيادة ولا في الاستدارة حتى وصلوا ثم ترجلوا مغتبطين فرحين كالعصافير وهي تقف على أقدام أعشاشها في حالة نشوى وانبهار لِمَا لهذه المنطقة من سحر وجمال يعجز القلم عن وصفها.

انقضى وطرًا من النهار وهم مازالوا غارقين بالنشوة والانبهار حيث المتعة وجمال الطبيعة والسكون الذي يخيم عليهم وكأنه روح الله الهائمة فوقهم هي التي تسحرهم، تغبطهم وتحميهم، نسوا أنفسهم وكأنهم يرفضون الرجوع إلى بغداد... حتى هتف ثامر بعد أن شعر بأن قيادة السيارة تنتظره، وما يترتب عليها من توقفات كثيرة مملة وتتطلب وقتًا إضافيًا من صيانة والتزود بالزيت والوقود أثناء الطريق، ويحاول جاهدًا عدم القيادة ليلاً وهو يحسب حسابه فيما لو صادف وانقطعت بهم السُّبل:

- أرجوكم هيا بنا، علينا أن نغادر المكان قبل أن يهبط الظلام، وأنتم تعرفون ماذا تعني قيادة سيارة متهالكة كسيارتي! ناهيك عن انتظار زوجتي لي ونحن مازلنا في شهر العسل!... ثم نوه غامزًا وبخبث شيطاني: كل ذلك فعلته من أجلكم ومن أجل صداقتنا.

تكدسوا بالسيارة كيفما أتفق ، ضغط ثامر على دواسة الوقود بقوة... ولم ينطلقوا بسيارتهم إلا أمتارًا قليلة حتى تفاجئوا بدورية شرطة كانت موجودة في جانب من الشارع وما قبل الاستدارة التي يذهب فيها المرء إلى سد وبحيرة دوكان من الجهة الأخرى؛ تستوقفهم بعناد ووقاحة وبشكل مستفز غير مسبوق، خاصة عندما تقدم من ثامر ضابط أصلع قصير بشاربين ثخينين عكرين يثيران الرعب والاشمئزاز وهو يأمره بلهجة رعناء غير مريحة بالترجل من السيارة لتفتيشها...

وقف ثامر محاذيًا لسيارته، وتجمع جمعٌ غفيرٌ من الجنود حولهم ولا يعلم من أين أتى هؤلاء وبهذه السرعة كالجراد... بدأوا بتفتيش السيارة بعد أن طلب صاحب الشاربين العكرين من البقية الترجل أيضًا، ولبُّوا ما طلب منهم دون أن ينبسوا ببنت شفة...

طال بهم الانتظار وقوفًا ولم يحدث شيء سوى قلب محتويات السيارة!... ثم تقدم الضابط بصلعته الرمادية من ثامر وهو يقول له برنَّة متمادية:

- لماذا شعرك طويل هكذا كشعر امرأة؟!

- ما دخل طول شعري بما نحن فيه؟

- لا تجادل يا وقح (وهو يبصق على الأرض وكأنه يتقيأ ويرد ما في جوفه ببشاعة).

- أرجوك، نحن شباب ملتزمون، طلاب جامعيون، جئنا إلى هنا لقضاء وقت ممتع في ربوع شمال عراقنا الحبيب، ولا نسمح

بالتطاول أو التجاوز علينا مادمنا لم نرتكب خطأ ولم نتجاوز على قانون أو شرع...

لم يجعله الضابط الوقح المغرور يكمل خطبته حتى تقدم منه أكثر ورفع يده الخشنة القذرة وصفعه على خده بقوة دون خجل أو وجل أو حتى اعتبار...

علا لغط الأصدقاء، وارتفعت أصواتهم الحانقة الناقمة التي لم تجد مبررًا واحدًا يجعل هذا الأقرع الأصلع يضرب صديقهم وبهذه الطريقة المشينة، فتقدَّم منه سعد وناح:

- نحن لا نجد أي سبب لما فعلته؟ والدولة فيها قانون...

عربد الضابط به ناعقًا:

- ماذا؟ قانون؟ أنا هنا من يمثّل القانون يا وغد...

ثم سحبه من قميصه بعنف وعوى في وجهه:

- أنت لا تعرف السبب الذي دعاني لفعل ذلك؟ سأقول لكَ: عندما استدار هذا (وهو يشير ببنصره المقيد بخاتم ذهب مرصع بعقيق غالي الثمن إلى ثامر) الذي له شعر امرأة وسأقصه له إن شاء الله لأرجعه إلى أصله ولدًا شاطرًا ومؤدبًا... ثم أردف بصلافة وعنجهية: أقول عندما استدار سائقكم هذا الذي لا يعرف إن كان ذكرًا أو أنثى متجهًا إلى سد دوكان لم يتوقف عند دوريتنا فاستهزأ بنا وبذلك قد أرتكب خطًا جسيمًا عندما تجاهلنا... وتابع عائطًا بخبل: هل عرفت السبب يا هذا؟!

ثم فتح صندوق السيارة الذي أغلقه أحد الجنود مذ قليل بعد أن لم يجد فيه شيئًا غريبًا أو مثيرًا ، وإذا به يجد كتابًا مركونًا بشكل عرضي في إحدى الزوايا المظلمة من الصندوق... وفي هذه اللحظة ارتعدت أطراف الأصدقاء خوفًا مما سيحصل لهم وما سيؤدي هذا الكتاب بهم، وأقل ما ستكون هي التهلكة إن لم يكن الجحيم.

انهار ثامر أولهم، أصابه مغص حاد قاتل في أسفل بطنه، فانثنى على السيارة وهو يداري ألمه محاولاً إخفائه، بينما ارتجفت أبدان الآخرين من هول المفاجأة غير المتوقعة، وبات كل واحد منهم يفكّر بالطريقة التي سيموت بها على أيدي هؤلاء، خاصة القبيح ذاك، صاحب الشاربين المجعدين العكرين، لِمَا يحمله من غِلظة وقسوة، ونتيجة ما بدر منه اتجاه صديقهم من وقاحة متورمة بالانحطاط والاستهتار...

رفع الكتاب، قلّبه، تصفحه بسرعة بانت وكأنه لا يعرف القراءة ولا يجيد الكتابة... حتى سأل ثامر بعنف متهورًا :

- ما هذا؟

بفتور حاول أن يظهره كما الاحترام:

- إنه... إنه كتاب!

بنذالة نهق:

- يا ابن الكلب أنا أعرف أنه كتاب، أنا أسألك أي نوع من الكتب؟!
ولماذا هو يتيم؟... ثم بغباء استطرد: أعني، لماذا وحده ملقى في صندوق السيارة هكذا؟! وهل هو مهم إلى هذه الدرجة؟!
- الحقيقة ، أقصد ، إنه مجرد للتسلية! مجموعة من الكلمات المتقاطعة التي نتسلى بها وقت فراغنا... ثم نوه بمكر مباغتًا: وهل هذا حرام أم ممنوع هو الآخر؟!

دعكه بيده الخشنة (في هذه اللحظة شعر ثامر بأن الضابط لم يفهم تمامًا ما تعني كلمات متقاطعة) ثم رماه في الصندوق بحقد وأغلق الصندوق بعده، وهو يصرخ بالجنود صاهلاً آمرًا:
- سوقوهم حيث آمر الدورية في مركز بلدية المحافظة، وقولوا له إن الضابط شلش ألقى القبض عليهم بتهمة عدم التوقف عند السيطرة الرئيسية للمدينة، وأبلغوه أن يعتني جيدًا بهم، خاصة بهذا الذي له شعر امرأة! وستبقى السيارة معنا لحين رجوعهم... ثم همس بسره مغتبطًا مسرورًا: إن رجعوا من هناك سالمين أصلاً!.

تفتحت أسارير الشباب لهذا الإجراء، هتف ثامر بهم متشجعًا وهو يوجه هتافه إلى الضابط الذي صفعه:
- ماذا يعني... ها؟ لنذهب إلى آمر المركز ونحكي له ما حصل معنا بالضبط... سنذهب...

تحرك الموكب بهم... وهناك وبعد أن دخلوا إحدى الغرف، تفاجأ الجميع بوجود رجل واحد فقط جالس خلف طاولة خشبية عتيقة بنية اللون وكأنها محروقة، هو الذي يأمر وينهي، يرتدي ملابس

مدنية وكأنه في بيته ، رجل عريض الكتفين ، حليق الرأس ، بشاربين طافحين بالشعر وكأنهما لقروي من سكنة الجبل... سألهم بصوت عريض وغليظ كشاربيه عن أسمائهم وسبب وجودهم ونوع أعمالهم... وبعد أن أظهروا له هوياتهم التي تثبت أنهم طلاب جامعيون من بغداد ، شارحين له كل ما حصل لهم بصدق ووضوح؛ فاجأهم بأسئلة غريبة أغرب من أصل وجنس الشيطان:

- لماذا أسماؤكم مختلفة؟ ودراستكم متشابهة؟ ووجهتكم واحدة؟!

ردَّ عليه ثامر بحصافة:

- سيدي الكريم، إذا كانت أسماؤنا مختلفة فهذا أمر طبيعي، لأننا عراقيون وحضرتك تعرف ماذا أعني! ، وإذا كانت دراستنا متشابهة فذاك لأننا ندرس في كلية واحدة، يعني زملاء وأصدقاء، أما عن وجهتنا الواحدة، فهذه لم تتعد كونها مسألة ذوق، إذ أردنا نحن أن نزور مصايفنا السياحية في وقت واحد ، هذا كل ما في الأمر، وكما ترى سيدي، ليس هناك ما هو غريب أو شائن.

استمع له بحرص وشغف ، صدَّقهم ، قام فاردًا طوله وهو يصيح بأحد الجنود الذين ينتظرون منه همسة:

- خذوا هؤلاء حيث توجد سيارتهم وقولوا لشلش الضابط بأن آمر المركز أخلى سبيلهم بعد أن عمل الواجب معهم! ، وعليه تنفيذ الأوامر بحذافيرها... هيا، ماذا تنتظرون؟

نفذ المساكين بجلودهم، تكدسوا في السيارة من جديد بعد أن نشف رقيهم ، ويبست حلوقهم من الخوف والرهبة والطريقة التعسفية

التي عاملهم بها ذلك الضابط الأقرع الوقح الحقير دون وجه حق، لكنهم شكروا الله لأنه أنقذوا من براثن شلش اللعينة عندما قلّب الكتاب ولم يعرف ماهيته... فقد كان كتابًا بعنوان "الزعيم عبد الكريم قاسم" مع صورته التي توسطت الصفحة الأولى التي لم يرها ذلك الأرعن الغاشم، وكان ذلك حكمة الله التي جعلته لا يرى ما أمامه، خاصة عندما ظهر بأنه أُمي لا يجيد القراءة والكتابة ولم يستطع فك خط العنوان!.

رجعوا إلى بيوتهم ومن ثم كليتهم ودراستهم من جديد، لكن حياتهم لم ترجع كما كانت من قبل؛ خاصة لثامر بعد الصفعة التي تلقاها ببشاعة من ذلك الضابط الجاهل الأُمي الوقح شلش ، قاتله الله وأخزاه لقاء تصرفه الأغبر معه... ولم ينتظر الأخير كثيرًا ، فقد ترك جامعته دون أن يكملها وهرب خارج أسوار وطنه بحثًا عن وطن يرعاه ويحميه ، على أمل أن يجده ليكون بديلاً عن عراقه الذي كان يسميه "الحبيب".



# بعيد المنال

**- تنويه :**

**بتأنيب كتأنيب الضمير منددًا محتدًا مطرق الرأس كمن تدور به الدنيا وكما يقال : كلام من يبكيك هو كلام من يخاف عليك ويحبك. دون استهتار أو تحدٍّ أقول بلذة ماكرة كمدمن على حبكم : رغم فراستي لم أعرف حتى نهاية القصة وأنا راويها أي نوع من الابتسامات تلك التي كانت سارحة تائهة في وجه بطل القصة ، وعلى القارئ أن ينظر إلى هذا بعين الاعتبار وهو يقرأ آفتي الجديدة المنكوشة التي تشبه الشعر المغسول للتو وتعرضه للهواء مباشرةً... بعيد المنال!**

•••••

بصوتٍ مسلوخٍ يحرق الأعصاب لاغيًا بجسارة مخشخشًا كأنه لا يريد أن يقصر الشر ، بوجه أحمر يصلح أن يكون وجه أغا أو باشا وبضحكة متشنجة لعلع هشام بوجهه السمين الذي يلمع بالعرق ، ومن تحت شاربه القروي الغليظ بتهدج ملتاعًا متقمصًا دور الجني المتحرر من قمقه لتوه...

**- قسمًا عظمًا وبأغلظ الإيمان أحلف ، أن ما سأكتبه (ولا يهمني أن كنتم ستصدقون أو لا تصدقون) ليس حلمًا أو خدعة أدبية كتلك التي تعودتم مني قراءتها ، ولا هي حيلة من حيلي القصصية التي تفنن الشيطان الذي بداخلي على اختراعها وإظهارها في كتاباتي بغية المتعة الذهنية والروحية ؛ ومن أجل هذا كفرت وكتبت هذه المقدمة التي ستبقى تلعنني وتطاردني حتى يوم الدين لأنها- أستغفر الله - تظهرني وكأني لا أريد أن أسبّح بحمده!.**

تعوَّد هشام؛ عدونا المحسود المنكود على أدبه رغم شحته؛ الذي احتار في تقدير عمره الحاسدون ، معذرةً ، أعني الحاسبون! والمتهم في بناء مجده بنفسه ، وبالوصولية من خلال إبداعاته الجهنمية التي لا يجني منها سوى الهموم والحسرات في الآونة الأخيرة على تلقي رسائل كثيرة متنوعة خاصة بعد أن طبع ونشر آفاته القصصية في كتب وزّعت على مكتبات عربية وعلى نطاق واسع ؛ لم يجد في تلك الرسائل التي كانت تصله ويتلقفها كما يتلقف الجائع رغيف الخبز الحار بفيض عارم من اللهفة ما هو غريب أو شائن أو مرعب، بل العكس، أغلبها إطراء وطلب شراء وباقات من كلمات الثناء... حتى وصلته في يوم لا يعلم كيف ستكون نهايته، رسالة لها وقع المعجزة على النفس، وإلهام الغيب على الروح تمامًا كنزول صاعقة على قمة بناية، فاعتبرها صديقنا المغضوب عليه بقدرة الخالق، قدره المحتوم!.

رسالة باترة رهيبة خارقة تجفف العقل من الرأس على بريده الإلكتروني الخاص، تستحق السهر عليها والتأمل في محتوياتها ألف ليلة وليلة، تبعد النوم عن الجفون وتجعل المرء يمشي وهو نائم حالم إن أستطاع النوم بالفعل... يا لها من رسالة حارقة، ساحقة وماحقة في نفس الوقت، لا ينقصها إلا أسنان القرش لتمزق من هو أمامها

( اثنا عشر مليون دولار أمريكي يمكن أن يحصل عليها مباشرةً إن اقتنعت الواهبة صاحبة الثروة هذه بالأهداف التي يمكن أن يحققها صاحبنا الحافل بالشجن والمغلوب على أمره من كثرة المِحن "هشام" لو حصل على هذا المبلغ دون شروط سوى إقناعها بالأهداف التي يمكن أن يحققها لو خلا الزمان له مع الاثني عشر مليون دولار ).

ألم أقل بأن الرسالة التي وصلته كانت ساحقة ماحقة تقصف الظهر وتلسح عقل كل عاقل سليم بثانية واحدة؟!

سبسب كاتبنا القصصي شاهقًا كمن أصيب بلوثه وهو يدردم واصًا نابصًا وهاسا، ذارعًا الغرفة عدوًا من ركنٍ إلى ركن، قاضمًا أظافره بقلق جنوني رهيب، ساعلاً عاطسًا ومدندنا كمتظاهر محروق بالحماس:

- يقال، إن أسخف ما في الحياة عندما نفكر بطريقة ونحيا بأخرى! ثم تعتع نائحًا سائلاً كحكيم مبشر مفتيًا ومفضفضًا: ترى كيف حصلت تلك المرأة على عنواني الإلكتروني البريدي؟! وهل هي جادة فيما تقول وتدعي؟!

ثم برأس غائم مترجرج صفعته رياح الأفكار المتقلبة، وبابتسامة خاضعة قرفص على الأرض كما تقرفص القرود في جلستها متفكرة:

- مهلاً... صاح بصوت مهموش منفعلاً... لقد ذكرت تلك السيدة في رسالتها أنها أمريكية الولادة، توفي زوجها العربي الثري قبل سبعة أعوام وترك لها ثروة تخطف العقل ذكرتها قبل قليل، لم تنجب من زوجها الثري أي ذرية، وهي الآن مريضة بين الحياة والموت، بعدها وقعت إحدى مصائب عدونا المحبوب غصبًا القصصية في يدها وهي التي تجيد العربية كما الإنكليزية فتأثرت بمضامينها وموضوعاتها ومعالجاتها الإنسانية والاجتماعية والتي تصب جميعها في خدمة الأسرة داخل المجتمع السليم المعافى الحر...

صفع جبهته بقوة وهو يلوي رقبته بأمل متفجر نابض وفائض بالحياة بعد أن توصل إلى هذه النتيجة المرضية التي تبين أن دافع السيدة لكتابة هذه الرسالة وطلبها ليس الخير فقط، ولا لصالح الطفل أو المرأة أو العائلة فحسب، بل من أجل هذا كله وهي التي لا تملك ولدًا يرثها...

تابع لاجًا كلحن صادر عن آلة القانون:

- هي إذًا تعلم جيدًا بأنها بعد أسابيع قليلة أو حتى بعد أيام قلائل ستكون الثروة كلها بأيادٍ لا يعلم عن هويتها إلا الله! لذلك اقتنعت جازمة بأنها لو عرفت أهداف كاتبنا صاحب اليدين الباردتين

كيدين من يهم أن يعترف بخطيئته، ومدى إنسانيتها وصلاحيتها لخلق أسرة صحية الجسم والعلاقة والذهن لوهبته تلك الدولارات التي يعجز الشيطان من عدها، أو حصدها في شهر كامل!.

مرح وسرح وتاه في خياله للحظات غاب فيها عن الدنيا كلها وهو يفكر بالأهداف التي يمكن أن يجعلها حقيقة عندما تكون في حوزته تلك المصيبة الهائلة - الثروة الماحقة - وهمهم مكعكعًا مفرقعًا مقرقعًا مخاطبًا نفسه ببراعة:

- إذا أردنا أن نجعل من الإنسان شخصًا قويًا سليمًا ومعافى وهو غايتنا، علينا قبل كل شيء أن نهتم بغذائه.

وردَّ على نفسه كالمجنون:

- أليس كذلك؟

ثم هز رأسه علامة القبول وأضاف منكصًا ومنكدا:

- الغذاء لا يكون صحيًا وسليما إلا إذا اعتنينا بالحيوان... هذا أمر لا نقاش فيه، فكلما كان الحيوان صحيًا؛ كلما عاد على الإنسان خيره، فمشتقاته: لحومه وبيضه وحليبه؛ كلها تتأثر بشكل إيجابي وبعلاقة طردية لو أحسنا تغذيته... إذن الاهتمام الأول ينصبّ عندما نُحسّن ونهتم بنوعية وجودة علف الحيوانات...

ضحك باسمًا متجليًا خاشعًا وراضيًا على أفكاره التي يعتني بها - أو هكذا يوحى له - كما يعتني بجسه وعقله...

- هذا من جانب...

ناح متلهفًا:

- الجانب الآخر والذي لا يقل أهمية عن ذلك، هو أن نجعل نمو الحيوان والنبات بطيئًا ، أقصد ، طبيعيًا ، لا أن نجعله يختمر بإرادتنا كالعجين!...

هام صائحًا كأنه يكلم أحدهم:

- يا رجل لم نعد نرى الأشياء التي نأكلها على طبيعتها التي خلقها الله لنا كما كانت من قبل! كل شيء نراه اليوم كبيرًا ، سمينًا ، مربربًا وملظلظا!... يا الله، كيف هذا ؟! رأيت يومًا والعياذ بالله بطة بحجم البقرة!... أتساءل ومن حقي أن أسأل : كيف استطاع هؤلاء الذين لا يعرفون ربهم أن يجعلوا من البطة بقرة ؟! ومن الخيار عصي طويلة كخشب المساحي والفؤوس؟ والخبز منتفخًا بقدرة قادر كأزهار عباد الشمس ؟ وحبات البطاطا كالصخور الجبلية ؟ والطماطم تشبه التفاح ؟ والتفاح أكبر من البطيخ ؟... وحتى الماء يذكرني ولا أعلم لماذا بماء جهنم!... خسف الله الأرض من تحت أقدامهم كما خسفها بقارون من قبل!...

تابع:

- نعم، سأكتب لها كل ذلك، ولتذهب بنقودها إلى الجحيم إن كانت لا تصدقني و لا تقتنع بأهدافي السامية الكبيرة هذه، لا أريد منها شيئًا ، فأنا والحمد لله راضٍ بحياتي كما هي دون حاجتي لتلك الثروة التي قد تصيب المرء منا بالجنون.

وما أن وعى على نفسه وعرف مكنونات ودوافع الرسالة لم يتوان ولم يكذّب خبرًا...

فما هي إلا دقائق حتى كان أمام ضابط الشرطة بعد أن أكسب صوته طابعًا جديًا خطيرًا ، يحدق بالضابط بصرامة وبعينين لا ترمشان وبإحساس دافئ كدفء الدموع وهو يهمّ بتقديم بلاغ ضد السيدة صاحبة الرسالة الجهنمية التي تثير في النفس كل شيء إلا الشفقة!... يتهمها بالنصب ومحاولة الاحتيال خاصة وهي تطلب منه نسخة من جواز سفره وبطاقة البنك الائتمانية ومعلومات عن حسابه الجاري وصورة شخصية ومبلغ قدره ٢٠٠٠ دولار لمعاملات التحويل المصرفي وأجور المحامي للقضية والهبة التي تعتني بها كثيرًا كي تنجزها وتنهي مهمتها الإنسانية الصادقة على أكمل شكل وأجمل صورة!، والضابط منهمك بتسجيل أقوال هشام والأخير شاحب اللون كمن تطارده الأشباح، تهيم في وجهه وهو يتكلم ابتسامة تائهة تعبر عن رثاء حاله أو انتصار ذاته، يشعر رغم ابتسامته التي احترت في تفسيرها بصفاء عجيب كصفاء لحظات ما قبل الموت ، تورث الشوق والوجد والوحشة وتهز الكيان!.



# القراءة

بدا شاكر شابًا لا يريد أن يكبر أبدًا ، فهو كعادته مرح ومتفائل وتعلو شفتيه المرسومتين بدقة رسام ماهر ؛ ابتسامة ساحرة وكأنها لنبي... في صوته رقة ونعومة النساء وعذوبتهن ، أصبح معَ الوقت وبتقدم الزمن محط حسد أقرانه وجيرانه.

في أحد الأيام مرَّ من دربهم وهو يمشي برصانة خارقة، كأنه قائد لجيش منضبط، وإذا بهم يستوقفونه بلطف مصطنع وهم يسألونه بكل جرأة:

- ما السر يا شاكر ؟ فأنك كعهدنا بك منذ سنوات، لم يتغير فيك شيئًا البتة، ونحن نكبر ونعجز ونشيخ وأنت لا يبدو عليك سوى نضارة الشباب وحيويتهم ونشاطهم ولا تملك سوى روح المرح وخفة الدم بشكل يلفت النظر والريبة؟!

ألقى إليهم نظرة دافئة، وكأنها آتية من قرص الشمس وهو يجيبهم فقال:

- إنها القراءة!

تسمرت العيون وهي شاخصة نحوه باستغراب ودهشة وكأنَ آذانهم ترفض التصديق!

شعرَ بهم وبما يجول في خاطرهم، فاستطرد بكل ثقة كالفيلسوف قائلاً:

- القراءة تجعل الإنسان منا يعرف الحياة، وما يحيط بها: أسرارها تكوينها، غموضها، حزنها، فرحها وغايتها... ثمَ أردف بوقار: بمعرفتكم لها، ستجدون أجوبة صريحة لا تقبل الشك أو الريبة لأشيائكم التي تجهلونها! عندها تنظرون إلى خبايا نفوسكم من خلال عيون الآخرين، ستحبونَ أعداءكم كأصدقائكم... ستصنع أياديكم ما عجزت عن صنعه وأنتم حاسدون، شامتون لا تنظرون إلا إلى الآخرين، لقد عطلتم النبوغ الذي تمتلكونه وهو هبة من الله... دون علم، واكتفيتم بالمراقبة ورصد حركات الناس، ونسيتم أنفسكم!

ثمَ مرَّ سريعًا دونَ أن يلتفت ورائه... لأنه لا يحب النظر إلى الماضي أبدًا.



# دقائق رعب معدودة

**متى يا إلهي يكون با ستطاعتنا أن نرمي في بحيرة حياتنا حجراً ،**
**كي نحرِك سكونها ، ونخرجها عن صمتها ، ونجعلها تنطق ؟**

لم تكن ، تلك التي لها عنفوان وأمانة رجال القرى والأرياف ، تحلم.

فزّت من نومها مذعورة، كأن نارًا تلاحقها، وما أشد حرارة نار الشرق؟ تشبه نار جهنم؛ وهي من الشرق جذورها وفروعها.

بحثت عنه ولم تجده في سريره وبجانبها! التهمها القلق بسرعة كما تلتهم النار نشارة الخشب. لم تحاول إيقاظ ولديها النائمين بعمق في غرفتهما ، غابت عنها حكمة التصرف ، شُلَّ عقلها عن التفكير. فجأة باتت عاجزة عن الحركة أو فعل أي شيء ، تخلى عنها صوتها، فانغرست سهام اليأس القاتلة بسرعة مجنونة في صدرها حتى وصلت قلبها.

زحفت ببطء وهي بملابس نومها ؛ التي لا يُستبعد أن تكون قد صنعتها بنفسها، كالمشلولة؛ وهي تبحث عن زوجها في ليلٍ أكل

الزمن نصفه؛ حالك الظلام، قاتم، كحاضر العرب وأملهم في الحياة الحُرة الصادقة!

لكنها لم تتقهقر أو تتراجع؛ واستمرت في البحث عنه... وهي تعلم جيدًا بأنه لم يغادر البيت في ساعة كهذه!

فتَّشت بأمل خائب ينقطع لها نياط القلب - ذلك الموجوع الذي فاض بالدموع كأنه الجمر - كل الغرف والدهاليز والممرات، ولم تجده!

همست، كجبريل وهو يوحي لأنبيائه:
- وائل!... وائل، أين أنت؟

ثم غيرت من لهجتها، فأصبحت فجأة عدائية، وكأنها تقول:
- أخر الدواء لابد أن يكون الكي: آه... لو عثرت عليه، سوف لن يخلصه مني أحدٌ، سأزهق روحه الهائمة بإصبعي الصغير هذا... وهو يعلم مقدار قوتي بالتأكيد! يفعل بي كل ذلك وكأنه يحلو له حرماني ليحل مكاني!

ثم عادت إلى هدوئها وناحت متأوهة:
- وائل!... وائل، أين أنت؟!
لم يسمعها، فلم يرد عليها!

عُرف عن وائل حبه الشديد للفنون بكل أنواعها وأصنافها، خاصة كتابة القصة القصيرة؛ حتى ذاع صيته وانتشرت شهرته في العالم العربي رغم غربته القسرية التي أبعدته عن وطنه العراق.

كان وائل نادر البكاء كثير الدعاء، رفيع العود، كالقصبة، بلحية كثة ووجه مهيب وكأنه من الفقهاء أو الحكماء... محبٌ للخير، نقي السريرة، لطيف المعشر والذوق، جميل الصبر سهل التعامل معه، مريض بالتسامح والنسيان إلى حدود لعينة تصل حد التجاوز على كبريائه وكرامته أحيانًا، فيتناسى عمدًا، البديهية التي تقول: لا تسامح أو نسيان مع الظلم والظالم... هكذا جُبل ولن يتغير... كثير التأمل، غزيز المعارف، واسع الإطلاع، ويعيش مع زوجته في دار متواضعة حسدتها الدور لتواضعها، اشتراها دون أن يعرف سببًا لذلك!... يحب المماحكة والجدل، لو المزاج له اعتدل... يعشق النكتة، لكنه لا يحفظها... يعبق بالدين، وقبله يعمره الإيمان. رُزق بولدين ملآ حياة زوجته بالفرح والنشاط؛ فطلّقت الضجر، والغم وهم الدهر، وعشقت الحياة في غربتها من أجلهما، ومن أجلهما تعيش - هكذا تقول وتردد دائمًا -.

في هذه الأثناء تقدمت نحو مطبخ البيت بعد أن بان لها خيط من ضوء شاحب يخرج من بابه!

رددت مرة أخرى هامسة، ناحبة، والعبرة تخنقها:

- وائل! أهذا أنت؟ هل أنت في الداخل؟

سكوت مطبق له نبض القبر!

تقدمت نحو المطبخ بخُطى وئيدة وبحذر شديد، تتمايل في مشيتها كخطى صبي مشاكس؛ حتى كاد الخوف يلعق ما تبقى من عقلها... وما أن دخلت...

وجدته منكبًا على بعض القصاصات الورقية، جالسًا بانحناء من يصلي؛ إلى سطح طاولة الطعام يكتب شيئًا، كالمسحور لا يعرف من أمر عالمه أمرًا...

نبرت صائحة بتأنيب دون إرادة، كمدمن على الشكوك:

- ماذا تفعل عندك؟!

لم ينتبه لصياحها وسؤالها، واستمر منهمكًا في ما كان قد بدأ به، كمسكون بالأرواح، فبان سرحانه وصمته، مثل سرحان وصمت من يتحين الفرصة.

- أقول لك يا رجل: ماذا تفعل في ساعة متأخرة من هذا الليل الذي لا يريد أن يصبح عليه الصباح؟!

رفع رأسه وهو يتثاءب دون قصد؛ فرأى زوجته فوق رأسه، فقال متفاجئًا، كمتصوف عميق الإيمان:

- ماذا هناك؟ لقد تركتك في السرير قبل ساعة، خفت أن أقلقكِ، نهضت بهدوء وصمت لعينين، كما تنهض المومياء من قبرها!

قاطعته متبرمة والضجر يلعب بعواطفها:

- هداك الله وأحسن خاتمتك، سألتك ولم تجبني: ماذا تفعل هنا وفي ساعة متأخرة من الليل؟ حتى وكأنك تبدو وبجلستك الغريبة العجيبة هذه، كرجس من عمل الشيطان تحت هذه الإنارة الخافتة الشاحبة التي تشبه إنارة فانوس في كهف!

برقة كادت تفسد طبعه:

- زوجتي الحبيبة، مقامك محمود وفي قلبي موجود، والأعمار بيد الله.

ثم جأر على غير عادته:

- ماذا عسى أن يحصل لي؟ أنتِ تعرفين بالضبط ما أفعله، فلماذا تسألينني؟

أجابته بحدة وبسرعة البرق دون تفكير:

- لا ، لا أعرف... وأردفت بعفرتة وهي تلوي رقبتها ، وتعض شفتيها: لهفة قلبي عليك، لو كنت أعرف، لما سألتك!

برأسٍ غائم، وبيدين باردتين ، كيدين من يعترف بخطيئته، وبعد أن فقد طعم اللذة والنشوة التي كان فيها؛ قال نابضًا:

- هاجمتني الأفكار الرعناء، كالعادة، كالنسور الجائعة إلى لحمي؛ فلم يهدأ لي بال ولم يغمض لي جفن، وكما تعلمين عزيزتي الغالية مواطن البلاء عندي ومنابع الوجع... عندها قررت أن أدق تلك الأفكار على الورق قصة قصيرة، كنوع من أنواع البضائع الأدبية المفلسة من تلك التي تعرفينها، ولن تجدي من هو أفلس مني في هذه التجارة الخاسرة البائرة، وكما يقال: الله أعلم وأنتم لا تعلمون! وها أنا في نهايتها... اسمعي لما كتبته في مستهل مقدمتها:

يلوح لي أن لا نهزأ بالجاهل؛ فمن جهله نأخذ معرفتنا ، ولا بالضعيف؛ فمنه نتسمد قوتنا ، ولا بالفقير ؛ فمن فقره نبني غنانا، من أخينا الإنسان نكون ، وعندما نكون يكون ، وبهذه العدالة والقسمة السليمة نحيا ونعيش دون أمراض اجتماعية...

ثم رفع رأسه بعد أن شعر ببرودة تلسع عظامه...
فلم يجدها فوق رأسه أو بجانبه!

بحماس التائب عاد يلهو بما كان قد دعاه ودفعه للهو...

انحنى على الطاولة خانسًا مجددًا ، كمن يعاني من قصر النظر ، وانهمك في الكتابة التي خرج فيها عن حدود الطبيعة، والعالم الذي يسكن فيه دون تبصر أو تعقل، كمن لا يهمه النعيم، ولا الجحيم!.



# أزمـة

تعوَّد جابر خالي الجيب إلا من رحمة الله ، المجبول من طينة الملائكة لطيبته وصفاء قلبه ونقاء سريرته؛ أن يضع زر الإنذار الكهربائي قريبًا منه أينما يكون، خاصة أثناء النوم؛ تحسبًا للنوبة التي يمكن أن تفاجئه وقد تقضي على حياته بلحظات معدودة وهو يعاني من ضيق التنفس بسبب التهاب رئوي ألمَّ به ، وعند الضرورة القصوى يطلب الإسعاف من خلال ذلك الزر الكهربائي الذي يكاد لا يفارقه ويعتبر أن حياته متعلقة بضغطة منه؛ ساعتها لا يبدي حراكًا، يشير برأسه الأشيب دون أن ينبس بكلمة، وعيناه تبقيان شاخصتين وكأنهما لمصلوب ، شفتاه ترتجفان ووجهه يصبح أزرق شاحبًا كوجه ميت... ما يجعله يعود إلى الحياة هو ذلك الإنذار الذي يستطيع من خلاله أن يطلب الإسعاف بضغطة واحدة منه...

وفي إحدى أصعب النوبات التي فاجأته وواجهته كان قد نسي زر الإنذار في غرفة الجلوس وهو مستلقٍ على كرسي هزاز متأملاً، سارحًا على شاكلة "من رآنا قد رآنا" فبان وكأنه قادر على التنبؤ

واستشفاف الغيب من وراء سرحانه يتمتع بشمس الظهيرة نادرة الظهور في دولة نائية بعيدة الوصول كالنرويج...

تقلصت عضلات بطنه، زاغت نظراته، شحب لون وجهه، تلوى كأفعى يمسك رأسها بإحكام صياد محترف ماهر ، سعل بصعوبة بالغة، ارتجف، حاول النهوض من مكانه؛ فلم يقدر ، أراد الكلام أو الصراخ؛ فلم يفلح... استسلم لقدره وصدره ينخفض لكنه لا يرتفع... لحظات يأس قاتلة بطيئة مرَّت عليه بعمر الدهر... لم يبد حراكًا وكأنه بات يلفظ أنفاسه الأخيرة...

وفي هذه اللحظة الحاسمة الصعبة التي يكون فيها جزء الثانية أغلى وأثمن ما في الوجود، لأنها تتحكم في حياة إنسان وهي التي تقرر حياته أو موته... ركض الكلب الذي كان بجواره يستمتع كصاحبه وفي الهواء الطلق تحت أشعة الشمس النرويجية الدافئة، الخافتة، والخجولة قليلة الظهور... ركض الكلب بحكمة لا يمتلكها بعض البشر أثناء الأزمات إلى داخل البيت وهو العليم الخبير بأمر صاحبه وبوجود ذلك المنقذ الذي طالما رآه وصاحبه يضغط على زره طلبًا للإسعاف... وإذا به هذه المرة يكون هو الذي يفعل ذلك بدلاً من صاحبه.



# المُحسن

**مع الإيمان يولد قصر النظر**
**ومع الموهبة يزداد الأعداء ويقل الأصدقاء**

وُلِد محسن عاشقًا للفن والأدب، ناذرًا نفسه للخير، وخدمة الناس كلما سنحت له الفرصة، واقتضت الضرورة، ولم يمر عليه يومٌ، أو يغمض له جفنٌ؛ إلا وقد ساعد أحدهم، أو أخذ بيد سائرًا في بداية طريقه الفني أو الأدبي، وهو يشعر بأن إحسانه جاء في محله ووقته... ساعتها تغمره السعادة التي تملأ عليه روحه وتفيض نفسه بالفخر لمعروفه ولِما قدمه للآخرين دون مقابل...

هكذا بني محسن لنفسه بمرور الزمن بين صحبه وربعه مقامًا محمودًا.

لكن، لازمته عادة سيئة لم يستطع التخلص منها مطلقًا؛ وكل محاولاته للتغلب عليها باءت بالفشل، حيث ما أن يعرف أو حتى مجرد أن يشعر أن ما قدمه لأحدهم وبرضاه يجعل الآخر يتقدم ليأخذ نصيبه لقاء جهده، أو يتدرج وبدأ يصعد سلالم الشهرة الطويلة، محاولة منه لارتقاء خشبة مسرح العالم الذي اختاره

لنفسه، وساعده محسن في ارتقائه؛ حتى نرى محسن يتقهقر، يندم على إحسانه وتقديم مساعدته، فتتراجع فيه قوى التقوى ويبدأ بمراجعة نفسه ولومها وتأنيبها لفعل الخير الذي زاد عن حده - حسب قناعته ورؤيته - وأنه لابد وأن أخطأ في تقديره، عندها يعتل مزاجه وتتوقف جوارحه عن العطاء إلا لسانه!... فيقوم وبغبطة نادرة أرهقها الصمت والسكوت في كل داخله وخارجه، وفي كل مجلس يجلسه ويتوسطه يمطره بوابل من الإهانات وكأن عمله كان نوعًا من أنواع العبودية، ولا يكفيه ذلك فقط، بل يعلن وبطريقة مسرحية يجيد تمثيل أدوارها:

- اسمعوا ووعوا: إنه لخبر جسيم وسر عظيم! أنا وراء نبوغ ونجاح وعلو وعطاء وشهرة صاحبكم! أنا الذي ساعدته وأحسنت إليه من خلال إنارة طريقه في البداية وجعلته يستدل ويعتمد على ملاحظاتي القيمة وتوجيهاتي الحذقة... تلك التي تلقاها كما يتلقى الطالب العلم من أستاذه.

تناسى محسن وسط ثورته وهيجانه وإحساسه البشع الغريب المركب من الحسد والغيرة واللؤم، بأن الإنسان فكر، وخيال؛ وما عدا ذلك أشياء لا تستحق الذكر، وأن الموهبة هي صفه تولد مع الإنسان، وتكبر معه، إما أن تكون، أو لا تكون، فهي لا تُكتسب ولا يمكن التغلب على صاحبها إلا بقتله كما صرح بذلك يومًا "برنارد شو"... وقد تناسى وهو تحت وطأة عذاب الخير! أن إعلانه وبهذه الطريقة؛ يسمِّم عطر إحسانه، ويفقده سحره،

ويحوله إلى شيء أشبه بالاعتداء وأقرب إلى النكرة منه إلى المعروف!

فلم يكن من بد لصاحبنا المسكين الذي تلقى مساعدة محسن؛ إلا أن يفكر باسترداد حريته، ولابد من كسر قيود عبوديته، بعد أن شعر بالمهانة والعار، وبوجه طافح بالمذلة والانكسار، عندها قرر دون رجعة أن ينهي علاقته بالسبب، لحكمة أرادها الله! وهو يتذكر قول الدين:

إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، وإن أسأتم فلها.



# الشحّاذ

**أرجو من القارئ أن لا يهزأ من أبطال قصصي... لأنه لو تخيل حاله بصدق ، لوجد نفسه لا يختلف عنهم كثيراً ولا قليلاً**

في نهار لم يكن لحرارته من مثيل ، لزمن يعود إلى منتصف سبعينيات القرن المنصرم؛ كان مجيد الذي لم يتجاوز العاشرة بعد بصحبة أخية الكبير يسيران على رصيف شارع الرشيد ذائع الصيت في وسط بغداد، ذلك الشارع الذي طالما حمل على أكتافه الهموم والمصائب، ورأى ما لا يمكن نسيانه، ومع ذلك بقي وفيًّا للعراق وبات عنوانًا للتراث المحافظ الجميل...

فجأة وفي تلك اللحظات قاسية الحرارة، الخانقة التي يصعب فيها الكلام كما التنفس؛ فغر فاه مجيد مندهشًا، مرتدًا إلى الوراء خوفًا، مرتعد الفرائص ذهولاً ، وهو يرى منظرًا رهيبًا لا يريد أن يصدقه، متجسدًا بكل ذل، ومهانة، وانكسار أمامه؛ المنظر الذي أبت ذكرياته الأليمة، النازفه دومًا أن تفارق ذهنه الفتي... وها هي الذكريات تقفز من مخيلته لتظهر صورتها واضحة جلية أمامه

وكأنه يعيشها اليوم كما في السابق - قبل أكثر من أربعين عامًا - ليحكيها قصة كما عاشها وتألم لأحداثها:

لم يكن لمجيد غير خال واحد؛ يدعى داخل، والأخير طيب الذكر تجاوز الستين وهو مازال عازبًا، يسرح بحقيبة صُنعت من الخشب ولها واجهة من الزجاج، يستطيع المرء مشاهدة ما ينشره بداخلها من خواتم الفضة المرصعة بالأحجار الرخيصة غير الأصلية... يعيش من تجارته البائسة هذه متى ما وعى على الحياة. أدمن في حياته على شيئين لم يعرف التغيير طريقًا لهما: شربه للكحول، ولعبه للقمار؛ وذلك من خلال شرائه لبطاقات اليانصيب التي أتلفت كل ما كانت تأتي به تجارته البائسة من ربح لا يستحق الذكر.

تعود في سالف الأيام أن يزور أخته الوحيدة التي مات زوجها وهي مازلت لم تتجاوز الثلاثين، فبقيت وفية لزوجها ونذرت نفسها لخدمة ورعاية أولادها الخمسة، وأصغرهم كان مجيد. تعود داخل زيارة أخته والمبيت عندها يومين أو ثلاثة وحسب ما تقتضيه حاجته، أو عندما لا يجد مكانًا يأوي إليه... عندها تتجمع الأسرة حوله بعد أن يفرد بضاعته ليعمل على تلميعها بخرقة سوَّدتها الأوساخ والأتربة، ثم يُخرج من عبِّه قنينة زجاجية يترجرج فيها العرق سائحًا متمردًا ينوي الهروب من عنق الزجاجة، لكنه يستقر في النهاية في جوف داخل بعد أن يستطير لُبّه بقراءة الكثير من الأرقام التي ليس لها من نهاية والموجودة

على قصاصات من الورق الملون الذي يدعى ورق اليانصيب ، وما أن ينهي جولته تلك اليائسة البائسة التي لم تدر له أي ربح أو أمل قريب للربح ، يبدأ يعوي نادبًا حظه العاثر ، فيلعن الحياة والوجود وصاحب الكون بكلمات راخية بعد أن تغلب العرق على ما بقي من عقل في رأسه...

هكذا كانت زيارات داخل لبيت أخته... والحقيقة هنا لابد أن تقال: لقد تمتع داخل بخفة دم نادرة، فتراه يضحك، ويمزح وهو في أشد حالات بؤسه وفقره ، كما أنه كان يجيد الغناء الريفي الجميل ، فيطرب نفسه ومن حوله ، وعندما يسمع الجيران صوته الحنون المميز ، يهبون راكضين ليشاركوا جارتهم وأسرتها متعة الطرب الفطري المرسل من حنجرة داخل العجيبة.

كان داخل رفيع العود ، محدودب الظهر ؛ كعصا النداف ، حليق الرأس والوجه ، يرتدي لباسًا بدويًا عربيًا غير نظيف ؛ يهوى النكته ويلقيها بحذاقة ونباهه رائعة ، محبوب جدًا ويحب العشرة والصحبة كثيرًا ، ومع ذلك لم يقتنع يومًا أن تشاركه حياته زوج ، فظل وحيدًا ، عازبًا... حتى اللحظة التي كان يسير فيها مجيد بصحبة أخية الكبير على ناصية شارع الرشيد...

صاح مجيد بأخيه الكبير مدحورًا ، كوجيه خسر نفوذه في معركة انتخابية، أو كعاقل مجنون لا يحب إظهار جنونه:
- انظر... أنه خالنا داخل، انظر إليه، مقرفص بجلسته كأنثى القرد يشحذ!

ذهل أخيه من الموقف غير المشرف، وهو ينظر بأسى إلى خالهما على ناصية الشارع يستجدي العطف قبل المال، ثم في ومضة سحب يد أخيه وأشار له بأن لا يقترب منه، ليسرعا دون أن يوليا أمره أي اعتبار وكأنهما لا يرانه...

اعترض مجيد على تصرف أخيه وصاح به مندفعًا، مثل انفجار رغبة مكبوتة:

- لنعطه شيئًا من المال، فهو وعلى ما يبدو في أمسِّ الحاجة لذلك (قال ذلك وهو يشعر برغبة عارمة في البكاء).

بلا خشية من الله نهره أخوه وردَّ بكلمات حاسمة وكأن لسانه سيفٌ بتار:

- ما هذا الذي تقوله، نعطيه مالاً كي نشجعه على التسول؟! لا... وألف لا؛ لن نعطيه شيئًا... وتابع بدهقنة آمرًا وبعنجهية خالية من الرحمة: هيا... دعنا نكمل طريقنا ولا تعره أي اهتمام!

حرن مجيد غاضبًا، لم يتزحزح من مكانه، ثم فجأة اقترب من خاله وسأله بطفولة وعذوبة:

- ماذا تفعل هنا يا خال؟... ثم أضاف بعد أن لوى عنقه استنكارًا: ألا تخجل مما تفعله؟ ماذا ستقول أمي لو عرفت؟

رفع داخل رأسه بقسوة وبطء وبرمزية لعينة كلغة الأحلام، ثم خرج من صمته بعد برهة، عرمر طافقًا نابرًا بصوت خفيض مرتجف كحديث النمام، وبنبرة متقمصًا، متمثلاً بنزعة تشبه نزعة التبرير التي تحاول قلب الأمور على هواها:

- يا بُني، يا ابن أختي الحبيب... لا يتوجب علينا أن نسأل الشحاذ: لماذا تتسول؟! ولا أن نقول له: رزقكَ على الله... فهو لا يبغض في حياته أكثر من هذه الجملة! فإذا سألنا الشحاذ عن سبب تسوله، كأننا بذلك نسأل اليتيم: لماذا تيتمت؟! أو أن نسأل الوحيد: لماذا وحدك؟! أو نسأل المريض: لماذا مرضت دون غيرك؟! والغني: لماذا عندك؟! لأننا سوف لن نحصل على إجابة مفيدة أو كاملة أو حقيقية؛ مهما اصطنع المجيب الصدق، والأمانة، والمعرفة إذا كان بالفعل يعرف أو يتحلى بالمعرفة ليرد عن علم، لا أن يدفع جوابه دفعًا، كالعادة: والعلم عند الله.

( فترة صمت كسكون القبر ) ناح بعدها متزلفًا:

- يا بُني، لا يسد فم ابن آدم إلا التراب كما قيل ويقال.

وأعطاه ظهره ونام.



# عُـزلـة

ما أن فتحت كتابي للمرة العاشرة في مقهى المستشفى الذي أقطن فيها منذ يومين بعد إجرائي لعملية خاطفة وسريعة جاءت على ما تبقى من التهابات وزوائد في أنفي... حتى ظهر أمامي فجأة كالقضاء شابان أسمران قصيران بدينان ومتينان ، بملابس فضفاضة عريضة ترفرف كالعباءة كلما مالا في سيرهما بجاكيتين طويلين مضحكين كالذي يرتديه الحمالون ، ويتقدمان فتاة محجبة مصقولة الوجه كالعاج مازالت في نظري طفلة لم تتجاوز الخامسة عشرة... كانا يتهامسان باللغة العربية وبلهجة خليجية قدرتها من اليمن...

أخذت الفتاة مجلسها على طاولة قابلتني فيها عن قُرب وبقيتْ كالتمثال صامتة ساهمة لا يتحرك ولا يهتز فيها كرجفة السمكة قبل موتها؛ غير رمشين كبيرين!

ما لفت انتباهي وفضولي هو تركها لوحدها وكأنها تتضرع إلى بارئها بسعادة خرساء في يوم الحساب ، فيما جلس صاحبانا البدينان كهرين بريين بمفردهما قريبًا منها على طاولة أخرى...

أثار اهتمامي تركهما الفتاة الصغيرة تجلس بمفردها ، وجلوسهما المتفرد الغريب وهما يتسامران ويلعبان في أجهزة الموبايل دون أن ينظرا لحظة إلى وجه الطفلة التي جاءت بصحبتهما وكأنهما لا يعرفانها بعد أن زوداها بالطعام والشراب الذي ملأ طاولتها وبسرور منقطع النظير وتركاها وحيدة وكأنها تعاني من مرض معدٍ خطير!

روّض الله الشياطين التي ترقص بدواخلنا مثل البراغيث المتمردة الحقودة وجعلها أكثر لطفًا ومسالمة كالأرانب الهرمة!.



# غابة الإنسان جنة الحيوان

اجتمعت حيوانات الغابة - الأليفة منها والمفترسة - يومًا للتباحث في مشكلة اعتبروها مهمة جدًا ، ولا مناص من مناقشتها وحسم نتائجها والبت في أمرها ، وكأنهم يصرون بعدها على نفض أياديهم من كل مسؤولية.

هبَّ الأسد فاردًا قوته من خلال صوته ، فاهتزت الأرض من تحتهم، هاتفًا:

- وجودنا هنا اليوم واجتماعنا بسبب استغرابنا من تصرفات الإنسان الغبية الرعناء التي لا تعبِّر إلا على جهله المطبق في إدارة حياته...

فتدخل الثعلب في هذه اللحظة متخابثًا ، كعادته خانسًا ، وبصوت يشبه صوت الوحي، مقاطعًا خطبة الأسد وزئيره المدوي:

- كيف يعني ؟ أقصد ، ماذا تريد أن تقول ؟ أرجو أن توضح لنا الأمر ، لنقرر مصير هذا الشأن! رعاك الله ودام فضلك... ثم أدرك غامزًا بعد برهة توقف وبنبرة نحاسية كنبرة من قام للتو من لحده: ما دخلنا نحن بحياة الإنسان وما يفعل ؟! هو له غابته التي يسميها دنيا الأرض ، ونحن لنا جنتنا الواسعة الشاسعة التي نستطيع أن نمنعه بسهولة من دخولها لو شئنا!

محتدًا وبنظرة كاسحة، كالسيل ابتلع فيها الأسد الثعلب مجيبًا، وجبينه يتفصد عرقًا:

ـ ما نستغرب من تصرفات الإنسان هو إننا (هادرًا، مستوضحًا: خذوا مثلاً فصيلتنا) لا نجعل أحدنا وليًا علينا، أو أن ينوب عنا لتمشية أمورنا في الحياة، بل، نعمل بمحض إرادتنا ووفق تصوراتنا الشخصية وميولنا الخاصة ونظرتنا ومعرفتنا للحياة... اسمعوا، لهف قلبي عليكم، ما أريد قوله هو: إننا نعيش ونحيا كما نرى وكما نريد لا كما يرى لنا غيرنا، وينوب عنا في كل داخلة وخارجة ويسألنا عن غدونا ورواحنا، يتسلط على حياتنا تسلط القملة على شعر رؤوسهم!

ثم زأر مجددًا بالثعلب وباقي الحيوانات التي كانت تستمع له مبهورة، مأخوذة اللب:

ـ هل هناك من ينوب عنكم في تمشية أموركم؟ هل هناك من يقرر لكم ما تفعلون، وما لا تفعلون؟ هل هناك من يقول لكم: هذا خطأ، وهذا صحيح؟ هذا حرام، وهذا حلال؟

وتابع كلامه بذات النبرة الصارمة، الحاسمة، المقبولة، والمعقولة:

ـ هذه هي المشكلة التي من أجلها اجتمعنا؛ لنقرِّر بعدها، إن كان الإنسان يستحق أن يكون خليفة الله على الأرض، أم لا؟!

وعلا صوته مجددًا، مستنكفًا، مرددًا في الآفاق:

ـ عليكم أن لا تنسوا خبث الإنسان وجحوده، ورغبته في الامتلاك والتسلط، وحبه الأعمى للقيادة، والزعامة، وجنونه المجنون في

التحكم بمصائر الآخرين والحكم والنيابة عنهم، ونيابته تلك لا تتعدى نيابة المنشار للخشب! أقصد، لا حبًا لأخوته بمقدار نشرهم وتقطيعهم، كما يفعل المنشار بالخشب!

عمَّ الهدوء المكان، ارتاح الأسد من جولته قليلاً، وهو ينظر في وجوه الحيوانات، فرآها مسحورة أو كاد السحر يغلبها، فنبر مستاءً من جهل الإنسان وغروره، وخبثه الأحمق الذي لا يمر هكذا بسهولة على عقول وفهم الحيوانات، مستدركًا:

- مشكلة الإنسان الحقيقية هي أنه لا يريد أن يفهم بأنه لا يستطيع أن ينوب عن نفسه، وفي أحيان عن عائلته، فكيف يصدق أنه يستطيع أن ينوب ويحكم شعبه وبلده وعالمه؟! نيابته تلك، تشبه نيابة الأخرس للأخرس والأعمى للأعمى، أي نيابة المعاق للعاق!

عندها عاط الأسد زاعقًا بهم سائلاً، وهو يسلخهم بنظراته سلخًا:

- هل ترضون، وعلى هذا الوضع تسكتون؟

رجرجت الحيوانات وهجهجت وصاحت صيحة حيوان واحد:

- نحن لا نرضى ولا نسكت على تصرفات ذلك المتكبر، المتجبر، والمغرور الذي يدعى الإنسان، ومصيبته التي نراها ماثلة أمامنا مثول الأسد الذي يسألنا، لا يريد أن يصدق بأنه في نظرنا لا يساوي زرقة عصفور! ذلك الذي لا يخجل ولا يستحي، وهو يعيش في فراغ حقيقي رهيب يتخبط به، ويتمرغ، كصَدفة تصفر فيها الريح.



# فرامل السيارة

لم يُصبِّح سامي على أحد بعد في وقفته أمام عتبة دارهم، حتى قفز س.ح. أمامه، كأحد الأبالسة خاطبًا فيه وبطريقة مسرحية، آمرًا :
- اصعد معي في السيارة لأريك شيئًا لم تره من قبل! وما عليك إلا أن تتماسك أثناء القيادة جيدًا كتمسك الكسيح بعكازه!

ثم ناح بصوت أبغش، كصوت امرأة عجوز نهبَ السكر ما كان باقي من عقلها :
- هيا ولا تتردد، خنق الله قلبك بالإيمان عزيزي، أقول لكَ هيا... فالوقت الآن مناسب جدًا، وأخوك صاحب السيارة، والذي يعتبر نسيبي وأنا زوج أخته، مازال نائمًا! ماذا تنتظر ؟ بل إلى ماذا تنظر ؟!

وصاحبنا سامي ساهي، لاهي، لا يصدق ما يرّاه ويسمعه في صباح - كما نوهت لم يُصبح فيه على أحد بعد - سوى هذا الداهية الواقف أمامه كيربوع ضال، والذي يخاطبه بصفة آمرة مثل ضابط بالجيش دون سبب واضح وجيه يستطيع فهمه أو استيعابه.

صعدا السيارة دون أن يعرف سامي هدفه، وصاحبنا الجرذ بدأ يضحك بعنف وهو يقود السيارة بسرعة جنونية كادت تجفف عقل سامي الذي ما فتئ يردد كالمخبول، متوسلاً:

- أرجوك، ستقتلنا... لماذا كل هذه السرعة؟ وإلى أين تأخذني؟ إما أن تتوقف أو تخفف السرعة، إنها ليست سيارتنا، ماذا تنوي فعله؟

وهكذا كان المسكين يهذي وهو يتعلق ويتمسك بالكرسي الذي تحته بقوة وبباب السيارة كما نصحته الداهية بصفاقة:

- تمسك جيدًا، كتمسك الكسيح بعكازه!

ثم فكر باستهتار الصبي المشاكس أن يرد عليه، فقال:

- تعطلت ضمائرهم وانطفأت بصائرهم... انتظر قليلاً وسترى بنفسك!

بحنقٍ وحلقٍ جاف:

- أرى ماذا؟

- سترى الجحيم الذي يتحدثون عنه!

خائفًا، صائحًا بخبل:

- الجحيم؟!

ببرود لا يمت لإنسان حي، همس:

- نعم، الجحيم بعينه، ولا شيء آخر!

ثم علا السكوت المشحون بالترقب سماءهم، ولا يسمع فيما حولهم سوى قرقرات محرك السيارة، والأخيرة تهتز وكأنها مركب في عرض البحر...

وما هي إلا دقائق حتى فرمل المعتوه الذي يُسمى س.ح. السيارة بقوة، فصرخت عجلاتها، وارتفعت الروائح القاتلة نتيجة احتكاك إطاراتها بإسفلت الشارع وتوقفها المفاجئ الذي لم يكن يعرف سامي سببًا له، فاصطدم رأسه بزجاج النافذة، ثم مال برأسه إلى الوراء حتى بات للحظات لا يعلم أين هو وكيف يجلس... والداهية كان يغط بضجيج صاخب من الضحك المهترئ الوقح وهو يردد بأعلى صوته، كبائع الطماطم في سوق شعبي:

- أردت أن أثبت لك عزيزي وحبيب قلبي سامي وأخ زوجتي معبودتي، بأني صانع ماهر، ميكانيكي سيارات من الدرجة الأولى لم تنجب الأرض شبيهه، وهذا ما برهنته لك بشكل لا يقبل الشك! فعندما غيرت فرامل السيارة أردتها أن تكون قوتها وتجاوبها فتاكة ورائعة كما رأيت بنفسك ، وعشت لحظاتها الساحقة الماحقة والرهيبة...

ثم علت قهقهاته الفاجرة... والجموع الغفيرة خرجت من بيوتها لمعرفة سبب هذا الصوت المدوي والناتج عن فرملة السيارة الجريء والوقح عند الصباح، وما علّه يكون وما نتج عنه؟



# مـريـم

سألتها بود صادقة:

- هل يمكن لي مساعدتك؟!

بنظرات حمل وادعة:

- شكرًا، سأتدبر أمري وأمر ابنتي، لا تقلقي سيدتي، سأكون بخير!

ودعتها المرأة الوقور وذهبت لشأنها لتترك مريم وحيدة مع ابنتها في حيرة خانقة، ساحقة لا تعرف كيف تتصرف وهي تنظر إلى المرأة التي غادرتها مبتعدة بوقار قدسي؛ المرأة التي رأتها في القطار صدفة وساعدتها على حمل عربة ابنتها ساعة صعودها، وها هي تودعها مغادرة بعد أن عرضت على مريم المساعدة والأخيرة ترفض طيبتها وإنسانيتها لإحساسها بكبريائها الذي لا تريد أن يخدش أو يداس (هكذا ظنت والموقف فسَّرت) بينما كانت في أمسِّ الحاجة للمساعدة وهي تعاني لسعات البرد القارس مع ابنتها الغاصة في عربتها المحملة بالأغراض التي اشترتها أمها من السوق للتو وقبل صعودها القطار بالخطأ، لتجد نفسها في محطة غريبة عليها وفي مساء حلَّ ظلامه سريعًا وخيَّم على

المكان فبدا أكثر وحشة وساد الجو الوجوم والشؤم، وهي التي تجهل لغة البلد التي تقيم فيه مغتربة منذ أسابيع قليلة، وابنتها تصرخ متألمة من الجوع والبرد...

التفتت مريم بحزن وأسى فيما حولها، فلم ترَ سوى الفراغ الكئيب الموحش، وتسمع صرخات ابنتها التي تعلنها عن غضب...

وإذا بظلال شخص يقترب منهما بصمت... يدنو منهما أكثر فأكثر حتى يصبح سهل الرؤيا...

وإذا بالمرأة التي غادرتهما ترجع ثانيةً وهي تعرض على مريم برجاء رحيم أن تقبل عرضها في توصيلهما بسيارتها إلى منزلهما وحيث يسكنان دون أن تجعل مريم تعترض أو تسمح لها أن ترفض!.



# مُعلم الحساب

**ألدّ أعداء الإنسان ، الإنسان نفسه**

**وكما يقال : لا النور يفضحه ويجلوه ، ولا الظل يطمسه ويمحوه!**

لم يكن كابوسًا، ولا أضغاث حلم، بل ما سأحدثكم عنه حقيقة، لها أبعادها الزمانية، والمكانية، والإنسانية المتمثلة بشخوصها.

صرصر هشام، كالجُدجُد؛ وهو يندب حظه العاثر الذي جعله يضيع على نفسه فرصة العمر، فرصة لن تتكرر في حياته مطلقًا، إذ أنه متأكد من عبقريته وذكائه:

- تبًا لي! كيف طاوعتني نفسي! لأجد حنجرتي تصرخ، وتصيح، وتردد، لتندد: نعم، أنا معكم، وأضم صوتي لصوتكم!

في البداية...

معلم الحساب يسير بين طلابه مترنحًا، مترجرجًا لثقله، وطوله، وجو الحصة في الصف الذي يدرس فيه هشام -السادس الإبتدائي- يسوده الترقب... ثم علت السكينة التي لها ألف لسان، وعمَّ الصمت المكان، الذي لا يفوقه أي صمت إلا صمت عمل الخميرة بالعجين.

ما أن علت الأصوات المطالبة، والمحتجة مجددًا، حتى فرد هشام طوله القصير بحضور معلم الحساب الثقيل وهو يهتف مع الصائحين:

- نعم، أنا أيضًا أريد وأؤيد إعادة امتحان مادة الحساب مرة أخرى.

أقترب منه معلم الحساب ومالَ برأسه نحوه وهمس له قائلاً:

- أنصحك بأن ترجع في كلامك ومطالبتك في إعادة الامتحان يا ولد.

نبر بشجاعة لا يعرف لها أب مستنشاطًا:

- لا، لن أتراجع عن رغبتي وقراري!

- يا بُني ناشدتك الله، اسمع كلامي وإلا ستندم!

بصوت منفر يشل الخيال:

- تهددني في صفي وأنا جالس في حصتي؟!

- إذن، ذنبك على جنبك، ولكنك ستندم!

بنفس مخبولة بحب الانتقام وأخذ الثأر، صاح ببلبلة مذعورة وبتباه ثائرًا:

- قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا...

ثم خفض رأسه منحرجًا، خجلاً من وقاحته.

فمشى معلم الحساب حتى منتصف الصف وصرّح بحرقة التائه، وبنبره فيها الكثير من التشفي:

- سأرد إليكم أوراقكم التي كتبتم فيها أجوبة الامتحان الذي تطالبونني بإعادته... ليقرأ كل واحد منكم ما سجَّله ليتعلم من أخطائه، إلا هشام لأنه أتى بنتيجة غير متوقعة لم يحصل عليها طوال حياته الدراسية في مدرستنا... ألا وهي: مائة بالمائة.



# نبيل

## النور يُولد من احتراق فحمة سوداء

ما أن رأته من بعيد قادمًا، حتى ركضت نحوه متلهفة، مختنقة بعبراتها وهي تصيح بأعلى صوتها:

- نبيل، نبيل... توقف... أنا ليينا... توقف أرجوك...

التفت وراءه، فوجدها ماثلة أمامه، تنوح وتتنهد باكية بأمل خائب:

- لقد افتقدتك!

ثم مدت يدها نحوه واستطردت بوجد حارق متوجعة:

- اشتقت إليك يا نبيل!

مماحكًا ببرود قاتل وكأن الأمر لا يعنيه:

- وماذا بعد؟!

وأردف بنبره رصينة سحقتها بخبث أنثى القرد:

- وما دخلي أنا فيما قلتِه؟! هذا أمر لا يعنيني بتاتًا!

وحاول الانصراف دون مراعاة انكسارها ، نحيبها ، لهفتها الصادقة الممزوجة بالحزن والحب وهي الفتاة الألمانية التي جاءت إليه راكضة تسأله عن سبب ابتعاده عنها وإهماله لها!

وقف صامتًا ينظر إليها نظرة كاسحة من فوق إلى تحت... ثم همَّ قائلاً:

- انظري يا بنت الناس، صحيح أنا في الخامسة عشرة، وُلدت هنا وأهلي من العراق ، وأنتِ مازلت في الرابعة عشرة ، عرفتك كزميلة متميزة في المدرسة وكصديقة رائعة في الحارة التي نسكنها، وحذرتك من التدخين وشرب الكحول اللذين أمقتهما، ليس لأسباب دينية، بل لأسباب صحية وأخلاقية... وها أنتِ أراكِ يومًا بعد آخر رغم اعتراضي الواضح والصريح لتصرفاتك ولم تتعظِ.. (قال ذلك وهو مازال غارقًا في عالمها) وأردف متماسكًا بعد أن رآها غاصة في دموعها:

- هكذا أنهيت صداقتنا الرائعة ولن أتراجع عن موقفي ما دمتِ لن تتغيري.

ثم تركها ترتجف مثل قصبة في مهب الريح ورحل دون أن ينظر وراءه.



# وقت في عمق المساء

**تنويه :**

**كتبت هذه القصة قبل حوالي خمس وعشرين سنة ، ونُشرت في إحدى المجلات العراقية التي كانت تصدر بالسويد وقتذاك ، وقد أسميتها "لوحة" لقصرها ، عندما كنت أحبو في كتابة القصة القصيرة.**

الكل يتجمعون ، يتوافدون من كل الجهات ، وفي طياتهم ترنيمات السكارى، وميل العاشقِ للرقص، تبدو على محياهم مظاهر الفرح والسعادة ، والتخمة حد الشبع ، ملابسهم أنيقة ، وكأنهم ملائكة الجانِ والسحر ، ألوانها ممزوجة بعطر الياسمين ونور الشمس ، وعلى كل حال ، فهم أناس عاديون ، يمتلكون ما نملك ، ولكن لا كما هم، بل كما نحن!

يدخلون المكان المتلألئ بأنواره الساطعة الحارقة ، مكان يملأه الفراغ والصمت ، سوى واجهة أمامية تطلُّ على مقاعد كثيرة فخمة، تدلُ من الوهلة الأولى للناظر ، على أنها كانت في الأمس، قاعة لقصر ملكي... وما أن اصطف الجميع، وأخذَ كل منهم يهمسُ للآخر : الوقت قد حان ، سنعيش لحظات لا يمكن لنا أن ننساها

بسهولة... ويغمز الآخر له: معك حق وكلامك لا ينقصه سوى الإطراء... فينتعش فخرًا ، وتمتلئ رئتيه بالهواء حتى تكادا تنفجران من الكبرياء!

تبدأ الأنوار بالاختفاء، كلحظات غروب الشمس، حينها تندثر الأصوات تحت القبور الثرية، وتخمد الأنفاس، سوى من لهاث الشيوخ وسعالهم، يزحف الظلام إلى أجزاء المكان، يمليه، يمتصه ويخيم عليه، فيحيط بكل أجزائه، ليطبق السواد، كالليل ليكون الكل واحدًا!

تنفرجُ الستارة، ليخرج وهج، منظر يدلُّ على أنه مكتب لأحد رجال الأعمال، ثمَ يظهر رجل ممتلئ الجسم، يرتدي بدلة سوداء عريضة، لتبدو وكأنها جناح خفاش، وعلامات الغضب والخجل واضحة على ملامحه، فبدأ متعثرًا بلسانه الذي لا ينطق، محاولاً الكلام، دونَ جدوى، وبعدَ أن واتته الشجاعة، قال:

- نحنُ نعتذر جدًا ، فبطل المسرحية معَ اثنين من الممثلين لا يستطيعون الحضور لعرض المسرحية الليلة، ولأسباب جوهرية تمنعهم من الحضور. سيؤجل العرض إلى الأسبوع القادم، فتقبلوا منا كل الأسف والاعتذار.

ومرة أخرى تنكشف شمس الأنوار ، ليظهر الجميع ، الواحد مختلف عن الآخر، كي يمارس دوره، بمفرده في استغلال غيره، لكي يعيش وهو مزهوًا، عاليًا، في نفسه فقط.



# وصية

مثل دهقان من دهاقنة السياسة الأبرار أقول ببراعة مصرحًا:

- بات لي أعرفه أكثر من ربع قرن ولم أقف على حقيقته!... الحقيقة التي تتعلق بخوفه! ذلك الخوف الذي جعله يكتب وصيته بخط يده! ليس هذا فقد، بل أجبرني أن أشاركه كتابتها بقناعة لم تقنعي، وبشروط وجدتها غبية وتعجيزية في ذات الوقت. ومع ذلك جاريته في ما يريد كطفل يتيم تذكر في ساعة حرمان أهله، فلبيت رغبته كي أخفف عنه ألم وقسوة الحرمان!

هكذا هو صديقي فؤاد الذي لم أعرفه جيدًا قبل رحلتنا معًا إلى القاهرة:

شاب تجاوز سن الرشد، أبيض البشرة، أصفر الشعر، رفيع وطويل العود، حسَّاس جدًا، خجول كفتاة عذراء، يهوى الفن ولا يقدر على ممارسته، له إرادة واعية رائعة تجنبه الخطأ حتى لو كان في أعز شهواته، فيستجيب لإرادته ويطرد الشيطان بحيلة عنيفة لا يقدر عليها أعمقهم إيمانًا وورع... عنيد، وعناده مثل عناد بغل الجبل، ولا يقتنع بسهولة حتى لو نزل عليه جبريل عليه السلام! وكما يقال: ( ما في رأسه في رأسه ).

اصطحبني إلى القاهرة بغية إقامة حفلة توقيع لكتبي التي أشرفتْ على الصدور ، ويا ليته لم يصطحبني! حيث جعل أيامي الثلاثة التي قضيتها هناك متأثرًا ، متحفزًا ، قلقًا ، معذبًا ، وملتاعًا وكأنني أمام رب العباد في يوم الحساب وحياتي التي قضيتها على الأرض لم تكن سوى : لوعة ، ومجون وفساد!... كل ذلك بسببه وبسبب تصرفاته الجوفاء الرعناء وخوفه غير المبرر ومن كل شيء في القاهرة... هذه المدينة التي تنام في النهار وتستيقظ في الليل، وهو القادم من الدنمارك، حيث الهدوء والسكون... خيالاته كانت تذهب به بعيدًا ، حيث الخطف والتعذيب وطلب الفدية، وربما تجنيده في مسائل لا يعلم سرها حتى الشيطان.

ما أن وطأنا أرض القاهرة التي يزورها لأول مرة ، حتى بدأ يعطف على الصغير والكبير ، الغني والفقير ، دون حساب ، وبدأ يوزع الجنيهات الورقية العتيقة المتهالكة لكل من يمد يده ، حتى طار لُبُّ عقلي وأن أنهره بحزم:

- ماذا تفعل يا فؤاد؟

بحنية كادت تبكيني:

- انظر لهم يا هيثم، إنهم مساكين الله!... ثم استطرد وكأنه يطفق ترتيلا : انظر إليهم، لا تكاد ترى ثيابًا تغطيهم!

فقاطعته محتدًا، وأنا الخبير بشعب مصر الطيب الحبيب ناصحًا :

- إذا بدأت ساعاتك الأولى هكذا ، فعليك أن تعلم بأنك ستشحذ عشاءك مساء اليوم من المارَّة على أرصفة شوارع "المهندسين"

أو كورنيش النيل... سوف لن يبقى معك جنيه واحد، أرجوك، أنا لا أقول لا تعطي أحدهم بعضًا من المال، لكن أن تعطي دون حساب فهذا الخبل بعينه.

ثم صمت وبدأت رحلتنا التي نغصها علينا صاحبنا ذو القلب الرحيم...

في اليومين الأولين كانت عيناه تدوران في السماء، مبهورًا بما يرى ويسمع... حتى بات يشك في كل شيء، يعد نقوده التي يستلمها من مصرف التحويل ألف مرة قبل أن يدسها في عبه... تغيَّر فجأة وبات قلقًا، متعبًا، لا يهدأ له خاطر وهو ينظر لما حوله بسرعة تخطف الأبصار وتقصف الأعمار... وعندما أردنا أن ندخل دار الأوبرا فتشنا أحدهم قبل الدخول، وإذا بفؤاد ينطق فاضحًا شخصه دون أن يسأله رجل الأمن وهو يردد على مسامعنا بصوت مرتجف، خائف سيرة حياته اللعينة:

ـ أنا فؤاد سالم، من العراق، أقيم في الدنمارك، جئت مع صديقي الكاتب هيثم نافل لتوقيع كتبه التي نشرتها له مؤسسة شمس للنشر، ونحب في هذا المساء أن نستمتع بالحفلة الموسيقية لرباعية الأوتار المعلن عنها...

وسرد ما في جعبته كل شيء، ورجل الأمن الذي لم يفهم منه شيئًا لأن صاحبنا المسكين كان يتحدث معه باللهجة العراقية الدارجة والإنكليزية معًا، فدار رأس الرجل الذي أظنه لا يجيد القراءة والكتابة، وقد رأيته بوضوح كيف كان يحملق بفؤاد وكأنه ينوي

ابتلاعه... عندها تدخلت بعد الذي صار وسحبته من يده أعاتبه على ما بدر منه وأساله الجواب، فردَ ببرود صادقًا قائلاً:

- لقد فعلت كل هذا من أجلك!

- من أجلي أنا!

- نعم، من أجلك أنت، كي نظهر لهم بأننا أناس مثقفون، نهوى الفن، وجئنا لعمل ثقافي كبير، وأنت تمثله!

ضربت كفًا بكف، وأنا أتأفف مجيبًا:

- كل هذا من أجلي؟!

مرَّت الساعات القليلة بعدها مشحونة بالترقب، حتى دنت ساعة لقاءنا مع مدير دار النشر ونحن نتهيأ للقائه... وقبل خروجنا من الفندق اعترض فؤادنا مجددًا ناطحًا بعرض الحائط كل ما اتفقنا عليه بأن يلزم الهدوء ويسمع الكلام:

- أنا لا أذهب للقائه!

- لا تذهب معي للقائه؟!... كيف يعني؟!

كطفل كسرت لعبته زامًا شفتيه:

- كما سمعت، لن أذهب!

بسكينة لا تعود لي:

- طيب، هل لي أن أعرف السبب؟

- من أجلك!

مشتعلاً بنار الغضب:

- سنرجع إلى النقطة التي انتهينا منها، لتعود وتقولها: من أجلك!

كنبي وسط أنصاره:

- هذا صحيح، من أجلك أفعل كل هذا!

- ولكن من قال لك بأني أرضى بذلك، حتى وإن كان ما تقوله صحيحًا؟

- لقد فكرت بالموضوع طويلاً، وعثرت على حل يرضينا معًا، ما رأيك؟

- رأيي في ماذا؟

- في الحل!

- أي حل يا هذا؟... وأنا بدأت أفقد أعصابي وأرى الأبالسة تتنطنط أمامي كلها.

- سأقول لك: أنت تذهب للقائه، وأنا أنتظر في الشارع، وإذا تأخرت؛ أتصل أنا بالشرطة وأبلغهم بأمر احتجازك... ما رأيك؟

- إنه الهبل بعينه!... ثم عرجت منوهًا ومستفهمًا: هل لك أن تقل لي مما تخاف؟

رنَّ بسرعة وبصوت مقزز له رنة جرس المدرسة:

- الغدر!... ثم تابع: أخاف أن يغدروا بنا ولا أحد يستطيع إنقاذنا، بعدها... لا ينفع حتى الندم!

- لكنهم أناس يعلمون في دار لنشر الكتب وليسوا جماعة إرهابية، ثم لماذا يغدرون بنا ونحن لا نملك شيئًا ثمينًا ولا حتى نحن نساوي في نظرهم كنزًا ولا نمثل منجمًا للذهب؟

- لقد قلت ما عندي!

ثم قرب ما بين حاجبيه وصمت.

وبعد أن غلب حماري في إقناعه، قلت له متراجعًا:

- هل لك أن تعطيني حلاً آخر، ربما يكون أفضل من عدم ذهابك معي، خاصة وأنت جئت لهذا الهدف فقط!

فكر قليلاً، مشى في الغرفة بطيئًا، ثم همس متبخترًا:

- سأكتب إذن وصية ونوقع عليها نحن الاثنان، ثم نتركها على سريري لسهولة رؤيتها والعثور عليها من خلال رجال الشرطة لو تأخرنا عندهم أو لم نرجع من أصله!... وإذا لم تقبل بهذا الحل، سأبقى هنا ولن أتراجع عن قراري مهما حصل!

عجبتُ من طرحه ومن فكرته الجهنمية التي لم تخطر في بالي من قبل أبدًا، لكنه أرغمني على قبول الفكرة رغم عدم قناعتي بها وسذاجة مفعولها، خاصة ونحن في القاهرة ولسنا في أوروبا! ترى من هذا الذي سيسأل عنا؟

لكنه، قرأ أفكاري بسرعة، وأجابني بإلهام عفريت تحرر من قمقه للتو:

- سنكتب الوصية وفيها كل المعلومات الشخصية لنا، ثم نتصل بزوجتك ونبلغها بذلك، وإذا تأخرنا حتى المساء ولم نطمئنها، تتصل هي بالشرطة من جانبها... وهذا آخر كلام عندي... وعاط منفعلاً: ها ما قولك؟

بخشوع مفتعل:
- سلمت أمري إلى الله، موافق.

وما أن وطأت أقدامنا دار النشر ، ورحبوا بنا ، ودعونا للأكل والشرب والتحدث حول المجموعات القصصية واندمجنا معهم وعلت أصوات ضحكاتنا ورنات كؤوسنا... حتى اقترب مني فؤاد وهمس في أذني سارًا:
- إنهم يا رجل ذهب خالص! ما أحلاهم، يا ريت لو بقينا معهم فترة أطول! لكننا يجب أن نتصل أولاً بزوجتك كي نطمئنها قبل أن تتصل بالشرطة ونعمل مصيبة من لا شيء!.



# النمساوي الحاذق

كان فرانس النمساوي مثل سيد العارفين، ومن يراه لا يشك في قواه العقلية عاقل!

انطلق دون اعتبار لسلامة المارة والمركبات الأخرى التي كانت تشاركه الطريق وتنافسه عليه، بسرعة جنونية بسيارته الجديدة النظيفة التي طالما كانت تلمع وكأنها أبدًا معروضة للبيع، غير عابئ لأحد، وكأنه على مسرح الحياة بمفرده يحيا، يغني، ويرقص!

حتى فجأة داهمته سيارة شرطة فاستوقفته...

تقدَّم نحوه أحد أفراد طاقم الشرطة وطلب منه بنبرة كمن يلعن الجن بلا حساب، أن يريه رخصة القيادة وهويته الشخصية... بدأ يتفحصهما ويكتب شيئًا في دفتر أخرجه من عبه ويطلق زفرات قويه كمخنوق في رمقه الأخير... في حين ظل فرانس (طيب الذكر) يدور بعينيه بلا تحديد، ثم خرج من صمته وطفق الشرطي بصوت معرعر يسأله مثل مخرِّف يريد أن يستشهد في معركة يؤمن بعدالتها:

- لماذا أستوقفتموني؟ فأنا لم أجنِ شيئا، ولم أخالف قواعد المرور!

سحقه الشرطي بنظرة ماحقة وهو مازال منكبًا على كتابة شيء أجهل أنا (كاتب القصة) فصل وأصل ما يكتبه، لكنه وبعد برهة صاح بصوت مرتفع ارتجفت أطراف فرانس منه:

- ثم تسألني ماذا عملت؟

- صدقني لا أعرف... ( قال ذلك برقة مثل ناسك يتعبد )

- عليك أولاً الترجل من السيارة، ثم ستلحقك الغرامة التي انتهيت للتو من تدوينها وهي تلزمك بدفع غرامة قيمتها مائتا يورو وسحب رخصة القيادة منك لمدة ثلاثة أشهر وخصم أربع نقاط من حسابك في دائرة رخص القيادة لأنك كنت تقود مركبتك بسرعة جنونية دون اعتبار لسلامة أحد...

قاطعه فرانس متأوهًا مستنكرًا:

- الحقيقة كان لي عذري في ذلك، ولو عرفته لسامحتني وترفقت بي!

- عذرك! ما هو يا ترى؟ دعني أقف عليه، لعلني أرى ما لم أشاهده في النهار كخفاش في الظلام!

- بالتأكيد سأخبرك به، بل سأجعلك تغير رأيك في شخصي وأبرهن لك على ذكائي الخارق في فن القيادة والتعامل مع المركبات...

بلع رقيه الذي نشف بسرعة وعاط بهبل كالمعتوه:

- لقد غسلت سيارتي هذه التي تقف بجانبها مثل عريس بجانب عروسته بشكل رائع وكما ترى فهي تلمع مثل ماسة تحت الشمس،

وما أن خرجت من ورشة الغسيل حتى انطلقت بسرعة من أجل أن أنشفها وأجففها بسرعة؛ صدقني، هذا هو السبب ولا شيء آخر عندي جعلني أقود سيارتي هذه التي أعشقها أكثر من زوجتي، بهذه السرعة...

ثم صمت وكأنه غاب عن الوعي!.



# مأساة امرأة صابئية

كل ما في الأمر أننا (العرب) نختبئ وراء الكلمات، وهم (اليهود) يختبئون وراء رأس المال!. تفضحنا كلماتنا لو عريناها من ثيابها، تُظهر لنا بجلاء ما يحويه داخلها من مراء، تناقض صارخ بشع في كثير من الأحيان... في حين لو أبعدنا عنهم رأس مالهم، لوجدناهم مخذولين لا يقدرون الوقوف ساعة لمجابهة واقع العالم الراهن...

لكن، ماذا عن سعاد؟... هي لا تفهم هذا المنطق، بل لم تجنِ شيئًا، إنها فقط على غير دينهم... هذا كل ما في الأمر.

يا للسخرية!

اليهود يقولون عن أنفسهم كذلك: نحن شعب الله المختار!... العرب إذن لا يختلفون عنهم كثيرًا... فلماذا نحاربهم ونعاديهم ونحن مثلهم؟!

سيدة عراقية كانت في الأمس القريب لأسرتها مثل مدينة تحرس البحر الذي تحت جدارها؛ تنتمي إلى الديانة الصابئية، لم تتجاوز الأربعين، تشعر بالجوع اليوم مع ولديها الصغيرين اللذين تركا مدرستهما الابتدائية هربًا من الجور سعيًا للأمان... لكن، لماذا

يطلبون الأمان ؟ إنهم لم يفعلوا شيئًا يغضب الله أو الناس ، وُلِدوا في العراق ولا يعرفون وطنًا غيره ، أجدادهم كذلك ، عاشوا وماتوا على أرض الرافدين من قبل ، لم يكن الدين مسألة تقرير المصير ، ما الذي تغير إذن ؟!

حياتها ليست نكته ترقص على اللسان ، الدموع لن تحميها من مصيبتها ، كل ما تشعر به هو خوفها على ولديها من الهلاك ، وحيدة هي على أرض عربية غير وطنها ، لاجئة في سوريا كغيرها من العراقيين الذين هربوا دون أن يجنوا شيئًا؛ مثلها ربما ، لكن خوفها على ولديها بدأ ينمو ويكبر كجنين في رحم أمه؛ الجوع جفَّف معدهم.

هزلت سعاد كثيرًا ، بات وزنها أقل من تسعين أوقية ، هي لم تكن من قبل هكذا ، كانت في الأمس القريب سيدة سعيدة بحياتها مع زوجها وولديها ، مقتنعة بما لديها ، جميلة جدًا شقراء ، شعرها الكستنائي ، عيناها الزرقاوان ، حنكها المرسوم بدقة ، غمازتا خديها...

لكن أين زوجها؟ ولماذا هي وحدها مع ولديها وهم جائعون؟!

خدم زكي في الجيش العراقي بعد تخرجه من الجامعة خمسة أعوام كاملة ، ذاق فيها المُر وتعرف على الصعاب ، نجا من الموت مرات عديدة عندما كان في الجبهة أيام الحرب العراقية/ الإيرانية؛ مثله مثل غالبية العراقيين ، لم يختلف عنهم في شيء... تزوج بسعاد ورزقا بولدين أكبرهما في التاسعة... ثم تغيرت

ظروف العراق بشكل مروع، لم يفكّر بترك وطنه، أصرَّ على البقاء، كان دائمًا يجابه من ينصحه بالرحيل والهجرة؛ بالسخرية.. حتى صادف يومًا أن هُدد في متجره بأن يغيِّر دينه، أمهلوه أسبوعًا واحدًا... لا يعرف كيف تجرأ هؤلاء بالتفكير بهذه الطريقة الغريبة، كيف يعني؟... سأل نفسه مستغربًا:

- ما الذي تغيّر في حياتنا؟ طوال عمرنا ونحن نعيش في وطننا بسلام وإخاء، لم نتلقَ يومًا سؤالاً من أحدهم: ما هو دينك؟... أصدقائي في المحلة وأيام الجامعة كانوا مثلي، أعني، لم نتخذ الدين نهجًا أو قانونًا في حياتنا، كنا عراقيين فقط، حتى أنهم لم يعرفوا عن مذهبي الكثير، لم يكن ذلك هو من يحدِّد لنا علاقاتنا، كنا أخوة سعداء، لا هَمَّ لنا، نضحك ملء قلوبنا بصدق، نشاهد مباريات كرة القدم كل مرة في بيت من بيوت أصدقائنا، كانت عائلاتنا تشاركنا هذه المتعة، شباب وبنات، شيوخ وأطفال، لم تكن لنا نظرة سيئة أو عنصرية، لم يخطر ذلك على بالنا، كنا أسرة واحدة، أخوة، يعلم الله ذلك.

قتلوا زكي بدم بارد بعد أن رفض تغيير دينه!... لم يعد لسعاد وولديها من خيار آخر سوى الهروب بالثياب التي عليهم، جهتهم كانت سوريا... وحيدة أهلها كانت، مات والداها بعد زواجها بقليل، لم تعرف بحياتها غير أسرتها، سعادتها مع أسرتها تغطي شقاء العالم كله... لكن الوضع تغير فجأة، هي لا تعلم لماذا؟ لم تعطى وقتًا للتفكير، قتلوا زوجها دون تفسير.

صدمت هناك... الوضع مأساوي؛ غالبًا ما كانت تلتقط طعامها من بقايا ما يُرمى في النفايات، مرض ولداها بأمراض لم تعرف لها من أسباب، ليس لديها المال لمعالجتهما، الإسهال الذي أصيبا به دام أشهر، نحفا بشكل رهيب، لم يكن لبكائهما من صوتٍ أو نحيب.

وعندما وجدت نفسها في مفترق الطرق؛ قررت أن تكتب لأخوتها في الدين وهي تردد : أخوتي مازالوا على قيد الحياة، يجب أن أكتب لهم كيلا يبقى عليّ عتب... ضحكت صارخة كالمجذوبة بألم يمزق أحشاءها وهي تكتب لهم مستنجدة:

- إما أن تنقذوني، أو أبيع نفسي.

ثم أجهشت بالبكاء بعد صمت وصيام دام لأشهر وأيام...

طوت الورقة مع دموعها التي بللتها وكتبت على غلاف الرسالة عنوان المركز الرئيسي لمؤسسات الصابئة... أحكمت إغلاقها بعد أن استدانت حق الطوابع من جيرانها، قفلت راجعة مع وجدها إلى همها الذي ينتظرها وهي تستنشق عرف الحزن الذي يصعب تصنيفه مع الهواء.

شاخت قبل أوانها... انتظارها كان صعبًا مخيفًا مثل اللهيب، انطفأت سهامها النارية التي كانت تنطلق من عينيها الزرقاوين كما من قبل... سعادتها كانت في الأمس القريب خالدة، هكذا حسبتها وقتها مثل ذكرى جميلة تراها كل يوم في تجدد، حدسها لم يكن صحيحًا، القدر لعب ضدها، قُتل زوجها، تشردت، ذاقت الويل وعاشت الهول... ترى، هل هناك ما هو أبشع من الهول؟ لم

تعد تفكر بالسلام، ضاع منها دون رجعة، همها أصبح أكبر من ذلك بكثير، جائعة هي اليوم مع ولديها المهددين بالهلاك في أي لحظة كجرذين مصابين بالطاعون، لا أحد يهتم لأمرهما... انقلبت حياتها فجأة مثل شخص استيقظ فازًّا من نومه على كابوس مرعب أحداث الكابوس كانت لغته صامتة كما هي العادة، لكن، كابوسها اليوم يختلف، إنه ألم ووجع وبطون فارغة متلهفة لأن تحصل على شيء يسدون به رمقهم الخاوي...

- كم أصبحت الحياة متحجرة...

هكذا سألت سعاد نفسها كالمجنونة، باتت متحجرة مثل صخرة لا تشعر، في السابق كانت تحسد الصخرة لأن الأخيرة لا تحس ولا تعرف حياةً أو موتًا، أصبحت حياتها فجأة مثل تلك التي كانت تحسدها...

ولداها ينظران لها بعيون كبريتية حادة، يسألانها ألف سؤال:

- لماذا يا ماما نحن هنا ؟! بيتنا كان أجمل وأوسع! اشتقنا إلى مدرستنا، زملائنا، معلمينا؛ كثيرًا... نريد اللعب مع الأولاد كما من قبل، ليس لنا أصدقاء يا ماما، لماذا ؟ لا أحد يعرفنا هنا غير العوز والحرمان، متى يعود أبونا من السفر ؟! هل كان من الضروري أن يسافر ويتركنا لوحدنا هنا؟ لماذا لم يودعنا عندما سافر ؟!...

ثم يسمعان طقطقة أقدام، تقترب منهما، تتقدم نحوهما، هل هذا حلم؟ بماذا يحلم الصغيران البريئان عند لحظات الجوع والمرض؟

بمنقذ مثلاً ؟ أم بالموت الذي باتَ قريبًا جدًا منهما قرب الحواجب من العيون ؟!

تبًا للأوغاد ، صنعوا بأياديهم مأساة ، دمروا أسرة ، شرّدوها... وها هم في ضياع بلا قاع... سحقًا لهم ، كانت مطالبهم واضحة ، أن تغير العائلة دينها وتعتنق دينهم!.

من قال بأن نبيهم لو سمع بما يفعلون يقبل بذلك ؟! لقد كان قريب زوجته نصرانيًا، لكنه لم يجبره على تغيير دينه، من أين أتوا بتلك الفتوى ؟ لماذا نشرِّع لأنفسنا قانونًا لم يشرّع من قبل ؟ حمورابي لم يفكر بهذا الأمر ولم يقرّه أو يكتبه... نبوخذ نصر لم يفعل بشعب إسرائيل هذا ، كيف طاوعتهم قلوبهم ، ضمائرهم ، أياديهم ؟... التاريخ سيقول كلمته ، نحن متأكدون من ذلك ، العراقيون لا يعرفون تلك الشريعة؛ الطائفية حزب لم يؤسسه عراقي، العراقي أشرف من أن يلوث يده بدماء أخوة له ، العزة والغيرة والإباء سمات بدوية سارت وتأصلت عند كل عراقي غيور ، أنا متأكد من ذلك، بل أقسم على أنه الحق.

قلّبَ مدير مركز مؤسسات الصابئة المدني رسالتها باستغراب ، سألَ نفسه متوترًا :

- منْ تكون؟ وهل هناك ما هو أقسى وأفظع من هذا ؟...

في صباح أحد الأيام كان ضوؤه أنيسًا يبعث المسرة ، يعبق به الكون ويعمره ، جاءتها بنت الجيران متلهفة ، هبطت عليها مثل القضاء والقدر فجأة تدردم معها بلهجة سورية فهمت سعاد نصفها:

- هناك من يطلبكِ على الهاتف ، عليك الإسراع قبل أن ينغلق الخط.

تركت ولديها المنهكين اللذين لا يقويان على الحركة يتضوران جوعًا، يتقلبان مثل أسياخ اللحم على الجمر شبه مغمى عليهما، لا أحد يعبأ بهما كالحياة!... أحكمت إغلاق باب حجرتها الخشبية التي كانت تقطنها ، ركضت دون وعي كالمجنونة نحو بيت جيرانها والفتاة تلحق بها مثل ظلها...

- نعم، منْ معي؟

- أنا مدير مركز مؤسسات الصابئة المدني...

لم تجعله يكمل جُملته، قاطعته صائحة:

- هل هناك من ثمة أمل؟

بثقة أكبر من سنّه بعقود، قال:

- اذهبي من فورك إلى القنصلية الاسترالية، قولي لهم هذه الجملة (....................... ) بعدها ستكونين في سيدني بأمان خلال أيام أنتِ والصغيرين.

رنَّ صوتها حادًا كصوت الزجاج الذي يرتطم بالصخر:

- لا تضحك عليّ!

- لن أضحك عليكِ... افعلي ما طلبته منكِ ، ستنتهي مأساتك ، صدقيني، ستكونون هناك بخير.



# الطاولة

سرق جليل لسان أخته بعد أن استدرجها في الحديث وهو يسألها:
- كيف هو مكان عملك؟ من معكِ في الغرفة؟
ثم أكد بكلمات كان يمطها قبل نطقها:
- ما نوع وشكل طاولتك؟!

كانت أحلام أخته طويلة، سمراء، رفيعة العود، وبسبب ضعفها لا تمتلك أي مقاومة ضد الأمراض، فغالبًا ما نراها مقعدة تصارع آلامها وهواجسها التي لا تنتهي، مما أدى إلى تصادمها مع رئيسها في العمل، حتى تطور الأمر يومًا فقدمت استقالتها، ثم ندمت على تصرفها.

كانت تجيب أخاها بروح ضحوكة، ببراءة الأطفال، وصفت له الغرفة، ثم حددت عدد الموظفين الذين يعملون معها في نفس الغرفة، وجاء الدور لرسم الطاولة التي كان جليل يؤكد عليها لمعرفة تفاصيل يتوق لمعرفتها، فاقترب منها وهي تتحدث بصوت خفيض كعادتها لضعف بنيتها، قالت:
- طاولة من خشب الساج، مصقولة جيدًا، يتراوح طولها متر وعرضها نصف المتر، فوقها ملفات، وعلى حافتها تجلس لوحة خشبية صغيرة كُتب عليها اسمي الثلاثي...

تابعها جليل بحواس متفتحة، كان يحبس أنفاسه لسماع كل حرف تنطق به، سجل في ذاكرته كل التفاصيل، شكرها بنظرة ثم هام على وجهه لا يعلم من في البيت أين كانت نيته!

وقتها كان جليل طفلاً غرًّا، لم يتجاوز سنه الثانية عشر، أسمر اللون كأخته، ساذج، يفكّر كثيرًا ثم ينفذ ما يفكر به بإخلاص قلَّ نظيره، له هوس في تجسيد أفكاره واقعًا، وعندما سأل أخته كان ينوي فعل شيء ما في ذهنه... خرج من البيت بعد أن رسم الخارطة التي ينوي تجسيدها وكانت وجهته بيت النجار جارهم...

استقبله الأخير بترحاب طويل، هو لا يملك من العمل الكثير، اعتبر الطفل جليل رزقًا وفيرًا بعثه الله إليه دون حساب، سأله عن أهله، ثم نوَّه:

- كيف يمكنني مساعدتك؟

همهم جليل مخطوف النظر لما يراه أمامه من تلٍّ من الخشب مركون في ركن بيت النجار، أذهله المنظر، يشاهده لأول مرة، وهو يتحسس جيب بنطاله الداخلي ويضغط بقوة على عُملة ورقية قيمتها نصف دينار، نبر:

- أريدك أن تصنع لي طاولة من خشب أكتب وأدرس عليها...

- هذه شغلتي يا بُني... ثم باغته كالسهم المنطلق: كم تدفع؟

- عندي نصف دينار!... قال جملته وأصابعه تتحسس العملة الورقية المستقرة في جيبه يدعكها بارتباك وخوف عليها.

- هذا مبلغ زهيد لا يكفي إلا لنصف طاولة!

احتار جليل بأمر النجار ، صفن ، رغبته كانت عارمة لا تقاوم للحصول على طاولة كاملة كما حدثته أخته، صاء كطير البطريق:

- عندما تنجز عملك سأعطيك نصف دينار آخر...

أضاف بنبرة حادة كأنه تعود لرجل استغرب منها النجار على أنها صدرت من حنجرة هذا الطفل الرفيع الأغر ، ناح متلمظًا لنجاح الصفقة:

- اتفقنا.

تابع محذرًا ومهددًا :

- لو لم تفِ بوعدك سأشتكيك لأمك!

- لا داعي للتهديد والوعيد ، قلت لك ، أنجز عملك وستحصل على باقي أتعابك...

ثم بحركة بهلوانية طفولية سحب العملة الورقية المدعوكة ، المعروقة وسلمها له...

طار لُبُّ النجار ، التقطها فرحًا غير مصدق نفسه، وعده:

- بعد يومين تعال ومعك نصف دينار آخر وتستلم طاولتك التي تتمناها...

ثم نهره كأنه يطرده:

- هيا، دعني الآن أرى عملي!

خرج جليل من بيت النجار لا تلمه أرض، قلبه يضايقه لسرعة نبضه وارتفاع صوت دقاته، يرقص طربًا لنتائج الاتفاق... ظلَّ يحلم حتى جاء اليوم الموعود لاستلام طاولته التي طالما تمناها...

دخل جليل عليه يتكئ على قدم واحدة، سائلاً متعجلاً:

- أين طاولتي؟

- تعال معي وأنظر ما فعله عمك!

سحبه من يديه إلى ركن من حوش البيت الذي يعتبره ورشته ومصنعه... انبهر الطفل من منظر الطاولة، رآها تحفة، سطحها مكرمش مرقع رصاصي اللون من لوحين، تحتهما أربع أرجل مطرقعة ليست من نوع أو شكل واحد من الخشب، ربطهما النجار بسياج خشبي ملعون لا يصلح لأن يكون مسندًا أو مربطًا لطاولة، لكن جليل لا يفهم بالتفاصيل، كان يرى طاولته رائعة، لا ينقصها شيء... سلمه باقي الاتفاق وحملها على ظهره بعد أن طلب برجاء منشرح الصدر أن يفتح النجار له باب بيته ليخرج بها كالحمَّال.

عند المساء اجتمعت عائلة جليل حول صينية الشاي والكعك بالدهن، هناك ثمة رائحة غريبة؛ ليست مرغوبة، تفوح من ركن حوشهم، لم تكن معتادة أو موجودة من قبل... حاول الأخ الأكبر لجليل تفقد بيتهم ولم يقع نظره على شيء غريب، تحدث مع أمه عن سبب الرائحة التي بدأت تزكم الأنوف، نفاذة لا تطاق، باستطاعتها أن تخرج الثعابين من أوكارها... أثنت والدته على تنويهه، قالت:

- لا أعرف! كل شيء كان قبل ساعة على ما يرام، لا توجد رائحة ولم أشمها إلا في هذه الدقائق.

استنفر الجميع قواهم، بدأوا البحث والتحري عن مصدر الرائحة الملعونة، وجليل جالس أمام الكعك يلتهمه ببرود أعصاب قاتل وكأن الأمر لا يعينه... حتى اقتربت منه أمه تسأله:

- ماذا كنت تحمل عصر اليوم على ظهرك؟ لقد رأيتك ولم يتح لي الوقت لسؤالك؟

- اشتريت طاولة من جارنا النجار بعد أن طلبتها منه لأكتب وأحضِّر دروسي عليها!

- لكنك لم تستشرني قبل طلبها؟

خفض بصره خجلاً من فعلته، ببراءة قال:

- كنت أخاف رفضكِ!

- أين هي؟

- هناك... وهو يشير بيده الصغيرة مستطردًا: غسلتها ثم طليتها لأن لونها لم يعجبني، ثم كتبت أسمي الثلاثي على ورق مقوى ووضعتها على حافتها كما تفعل أختي!

ركزت الأم على كلمة طليتها، صاحت:

- ومن أين أتيت بالصبغ؟

- وجدته مع الأحذية هناك...

ناحت مؤنبة كي يسمعها الجميع وهي ترص وتقرص أذنه:

ـ كيف يمكن لك أن تفعل هذا ؟... أضافت : ونحن نقول من أين هذه الرائحة الكريهة ؟ إنها من صبغ الأحذية الذي دهنت بها طاولتك الجديدة...

قهقه كل من في البيت بصوتٍ عالٍ، ثم ارتفعت القهقهات لتصل الجيران، وسمعها النجار كذلك بوضوح ففهمها على أنها إطراء لقاء جهده وإبداعه.



# من داخل الزنزانة

يخال أن الإنسان الطيب اليوم ممقوت من الآخرين، وعليه فوق ذلك أن يدفع ثمن طيبته وبساطته ورقته وهدوئه للناس الذين يحيطون به ، لأن الله جبله على هذه الطباع الجميلة الوادعة المحبوبة سمعته وحريته ويحارب حتى في رزقه ويودع السجن إن تطلب الأمر ذلك!.

خلع ضمير مخسوف الخدين غائر العينين بأيدي مرتجفة بجلسته المقرفصة في زنزانته الباردة التي تشبه كهف في بطن الجبل قميصه المدعوك فاقد اللون بسبب استهلاكه ناقص الأزرار من كثرة ارتدائه، عضَّ ياقة قميصه بأسنانه ليفصل قماشها عن الورق المقوى الأسمر الذي يغلّفها، نجح بعد جهد كلفه اللهاث وسيل من اللعاب المر ، أخرج القصاصة الورقية منه، لبس قميصه الممزق الياقة مجددًا ، زرر الأزرار المتبقية اتقاء البرد الذي كان قد حلَّ في عظامه لا يريد أن يفارقه، هو لم يشعر بان ارتداء القميص سيقيه برودة ورطوبة الزنزانة، بل فعلها بشكل روتيني لم يعيه، أخرج من فتحة بنطاله الجانبية الممزقة المثقوبة قطعة من الخشب بحجم عود الثقاب كانت بقايا من قلم رصاص احتفظ به وقت

الضرورة، بلل قمته الخاوية الجرادء السوداء وكتب على ورق المقوى الذي أخرجه من ياقة قميصه منحنيًا كأنه يعاني قصر النظر بسبب الإنارة الخافتة التي تشبه ضوء يشعه سراج يحتضر:

( كنت شريفًا قبل أن أودع السجن، فترة لا أستطيع الآن حساب أو تقدير وقتها بسبب النسيان، ضاع مني التاريخ الذي كنت أتغنى به كرجل شريف، أقصد هنا بالتحديد، كنت أعمل كمصير مشترك بين الشرفاء قبل أن أصبح عاطلاً محبوسًا في زنزانة باردة كسرداب تُذبح وتقصب فيه الكباش، كانت في وقت ما - لم أعد أذكره- أعمالنا الحسنة، الطيبة، الجميلة، السخية هي نفسها آثامنا في نظر الآخرين من أبناء نسلنا الذين كنا نظن بأنهم من صنفنا، وشى بنا أصحاب العمل، قالوا عنا ما لايقال، سخطوا علينا، أمروا بمعاقبتنا على ما اقترفنا من فضيلة أصبحت في زمنهم حائلة اللون من طيبة وبساطة وتواضع وحب الناس ومساعدتهم... طُردنا من رزقنا، أُودِعنا السجن... وها أنا أكتب إليكم أطلب الرحمة من الله والعفو منكم على ما اقترفتْ يدي من شرور وسوء يخل بنظام المجتمع، أكتب إليكم وأنا أشعر بأنني أموت في مكاني).

ضمير

بعد أن شلّه التعب؛ توقف عن الكتابة، طوى ورقته السمراء التي انتزعها من ياقة قميصه بحرص، تسربل في مشيته حتى باب الزنزانة، طرقها بيدٍ مرتجفةٍ مرتعشة... فتح الحارس الغليظ

الطويل كأحد العمالقة السالفين الفتحة الوحيدة التي تمتلكها الزنزانة وسط الباب كعين وحش، منها غذاؤهم وشرابهم؛ كما شتيمتهم وسبابهم؛ يتلقفون... صاح بصوت كريه يشبه صرير الحديد على الحجر:

- ماذا تريد يا سجين؟

- اغفر لي عملي، سامحني على جرأتي، كل ما أطلبه أن ترسل هذه الرسالة إليهم!.

- رسالة!، إليهم!، من يكونون؟

بصوتٍ واهنٍ كمن حانت ساعته:

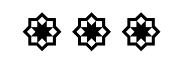
- كل شيء مكتوب فيها ومدون، لن أجعلك تتحير، خذها وحقق لي رغبتي الأخيرة في الحياة، أرجوك.

دون أن ينبس العملاق، تلقفها بخشونة، دعكها بقوة، طواها في يده كأنه يحطم عصفورًا صغيرًا، أغلق الفتحة، عاد النور الباهت الأقرب إلى الظلمة يغلف المكان ويمتصه.

تراجع الحارس خطوتين، ارتجت الأرض من تحته، أسند الورقة على يده، بدت كراحة كفه، أو كورقة خس صفراء ذابلة نساها الزمن، قرأ ما جاء فيها، ضحك من خيبة ضمير، كانت بالنسبة له هذيان محموم أو مجنون، دقَّق النظر فيها فلم يجد كما توقع أي عنوان... تدحرج في مشيته نحو مشبك حديدي مغروس في جدار الممر وفتحاته تطل عن علو على شارع المدينة الكبيرة الواسعة الصاخبة بالحياة... أمسك ياقة قميص ضمير وبدأ بتقطيعها إلى

أجزاءً صغيرة، يقذف بها في الهواء عبر فتحات المشبك الحديدي وهو ينظر لها مغتبطًا بعمله بعد أن شعر بزهوٍ كبيرٍ ونظره لم ينزل عن قصاصات الورق التي بدأت تنتشر في الهواء وتسقط على الأشجار ورؤوس الناس وإسفلت الشوارع كالمناشير... في حين ظل ضمير يردد حتى أخر نفس من عمره بجلسته المقرفصة داخل زنزانته الباردة قول الكاتب الروسي العالمي خالد الذكر "دوستوفسكي" : (كل شيء يتم في هذا الزمان على نحوٍ عجيب؛ حتى البر والإحسان).





# المؤلف في سطور

- روائي وقاص عراقي، من مواليد بغداد ١٩٦٥م.
- درس الهندسة الزراعية في جامعة بغداد
- هاجر مع زوجته إلى ألمانيا عام ١٩٩٠م.
- أسَّس مجلة باللغة العربية بعنوان ( ميمرا الكلمة ) في ميونخ عام ١٩٩٩م، وترَّأس تحريرها.
- نشر مجموعة كبيرة من القصص القصيرة والحكايات والمقالات في مواقع ومجلات عربية عديدة منها : مجلة آفاق مندائية ، مجلة العهد ، مجلة أقلام الثقافية ، مجلة أصوات الشمال ، الناس ، أدب ، شبكة حنين ، وطيور دجلة ، وغيرها الكثير.
- له محاولات عديدة في الرسم.
- أقام أثناء دراسته في الجامعة ثلاثة معارض رسم تشكيلي.
- أسَّس في عام ٢٠١٤ م رابطة للأدباء والفنانين والمثقفين المندائيين وعمل في لجنتها التحضيرية عامين.
- أسَّس في عام ٢٠١٧ منتدى تحت اسم "منتدى الوالي الحُر للقصة القصيرة" يشجِّع فيه كل المواهب الشابة من خلال صفحته الإلكترونية الخاصة.

• الإصدارات :

- نتاج السنين : مجموعة قصصية. مطبعة فاكَنر ، ميونخ ٢٠٠٥
- الشك وأشياء أخرى : مسرحية. مطبعة فاكَنر ، ميونخ ٢٠٠٧
- الدين والنبي في التاريخ : دراسة. مطبعة فاكَنر ، ميونخ ٢٠١٠
- الموتى لا يتكلمون : مجموعة قصصية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٤
- الهروب إلى الجحيم : مجموعة قصصية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٤
- عجائب يا زمن : مجموعة قصصية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٥
- أنْهُر بنت الرافدين : رواية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٦
- طاعون الشرق : رواية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٦
- الوهم : رواية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٧
- امرأة من الشرق : رواية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٧
- العودة : رواية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٨
- من داخل الزنزانة : مجموعة قصصية. شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٨

• إصدارات تحت الطبع :

- تأملات في عالم الإنسان : مجموعة مقالات. شمس للنشر والإعلام
- النهاية : مجموعة قصصية. شمس للنشر والإعلام

• البريد الإلكتروني : haitham65@hotmail.de




(+2) 01288890065

www.shams-group.net